لقاء مع الابرار
٣

الشهيد الأوّل

فقيه السربداران

تأليف: محمّد حسين الأماني
ترجمة: كمال السيّد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

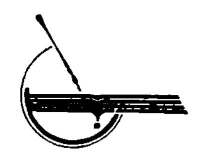
لقاء مع الابرار
٣

الشهيد الأوّل

فقيه السربداران

تأليف: محمّد حسين الأماني

ترجمة: كمال السيّد



ايران ـ قم ـ شارع الشهداء ـ مؤسسة أنصاريان

ص . ب ١٨٧ ـ هاتف ٢١٧٤٤

اسم الكتاب :	الشهيد الأوّل فقيه السربداران
المؤلف :	محمّد حسين الأماني
المترجم :	كمال السيّد
صفّ الحروف :	" افتخاري " للخدمات الثقافية ٦١٩٤٠٣
المطبعة :	صدر ـ قم
الطبعة الاولى :	١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
الناشر :	مؤسسة أنصاريان
عدد المطبوع :	٣٠٠٠

المحتويات

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

كلمة الناشر

عديدة هي الطلبات التي تلقّتها مؤسسة أنصاريان سواء عبر الهاتف أم خلال رسائل القرّاء الكرام، وكلّها كانت تدور حول كتب تتحدث عن حياة العلماء من الذين كان لهم دور مشرق في عالم الفكر و دنيا العلوم، وقد عكفت المؤسسة علىٰ دراسة الموضوع باهتمام، استجابةً للرغبات المخلصة المتعطشة للثقافة الإسلامية ورموزها.

واذ تقدم «أنصاريان» سلسلة ـ لقاء مع الأبرار ـ فإنّها تتمنىٰ أن تلقىٰ الرضا والقبول من لدن جميع القرّاء الكرام، والله الموفّق.

مؤسسة أنصاريان

تمهيد

يقوم الهجوم الثقافي على دعامتين؛ الأولى: تحقير الثقافة الأصلية، والثانية: التهويل للثقافة البديلة والغريبة في نفس الوقت. ومن خلال هذا الاستلاب الثقافي واحتقار الثقافة العريقة يشعر الشعب بحالة من الصغار تجاه الآخرين، غافلا عن ثقافته وما تحويه من الكنوز الثرّة، مستجدياً الغرباء، عارضاً حضارته وتمدّنه بثمن بخمس.

ولقد عمل النظام البهلوي البائد على تكريس هذه السياسة فى التعامل مع الغرب كاأله للحضارة والمدنية والفن بل وحتى الأخلاق والدين، وطرح الشرق باعتباره مثالاً للوحشية، والتخلف، وفي أحسن الأحوال: العالم الثالث عالم الدول النامية؛ ولقد نجحت تلك

السياسات الشيطانية إلىٰ حدّما وأصبح الغرب في نظر الكثيرين ـ خاصة الشباب ـ يمثّل العالم الحرّ المنافح عن حقوق الإنسان والمدافع عن الديمقراطية والحرّية.

ولكن وكما يقال فإنّ الشمس لا تبقىٰ خلف الغيوم إلىٰ الأبد، وبدت الحقائق واضحة وبدأ عهد الصحوة الإسلامية.. العهد الذي يتّسم بعودة الجيل الحاضر إلىٰ فطرته وقرآنه وعقيدته ورموزه.

وبالرغم من هذه الاشراقة التي تبشر بالخير الوفير فإنّ حالة الاستلاب الفكري وفي كثير من المجالات الحساسة ماتزال تعاني ذيول التأثيرات الغربية.

فما تزال شهادات الغرب تخطف أبصارنا، ومايزال الدواء الذي لا يحمل اسماً غربياً طناناً، عديم التأثير والفائدة، ومايزال الكثير من مظاهر الثقافة الغربية متغلغلاً بل ومتجذّراً في تربتنا، ومايزال الغرب يختار لنا الزي الذي نلبسه، ويعيّن نوع المداليات التي تمنح كجوائز للفائزين، وننتظر منه حتىٰ الجوائز الأدبية التي يسيل لها لعاب الكثيرين. ولكن هل من الصحيح أن نعدّ الغرب مثالاً؟ الغرب الذي ظهر علىٰ حقيقته بشعاراته الجوفاء.. وبدعاواه الفارغة في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لماذا هذا الشعور بالنقص تجاه جلاّدي القرن الخامس عشر

الهجري؟!

فالغرب الذي يمنح جوائزه «الأدبية» إلىٰ عديمي «الأدب» من أمثال سلمان رشدي، في الوقت الذي يصدّر أو امره بحرمان الطلبة المسلمين من الإشتراك فى أولمبياد الفيزياء، مازلنا ننظر إليه كمثال، بالرغم من تمييزه العنصري المقرف.

ان علىٰ العالم الاسلامي أن يسعىٰ بجدّ إلىٰ تشكيل «نظام دولي إسلامي» وأن يقطع كل آماله من شعارات الغرب في الديمقراطية والحرّية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وهل هناك أمل ونحن نشهد ماجرىٰ ويجري في الأرض الإسلامية في «البوسنة والهرسك» و «الجزائر» و «فلسطين»؟ وليعلم كل من يهمه أمر المسلمين أنه لا ملجأ إلاّ في العودة إلىٰ أحضان القرآن وظلاله الوارفة.

و «لقاء مع الأبرار» خطوة في الطريق ـ طريق العودة الىٰ الذات من خلال الإشارة إلىٰ نجوم الفكر الإسلامي.. اولئك العمالقة الكبار الذين تضيع فى عوالمهم وآفاقهم الرحبة زعماء العقائد الأخرىٰ ومفكروها.

ان أشدّ مايرهب الغرب ويرعبه، هو عودة الأمّة الىٰ هوّيتها.. إلىٰ رموزها.. إلى اولئك الذين مهّدوا من خلال جهودهم المتظافرة

طريق الإسلام اللاحب.

ولقد أخذت «لقاء مع الأبرار» عهداً علىٰ استكشاف معالم سبعين كوكباً مضيئاً في سماء الفكر الإسلامي، وتقديمهم معالم منيرة فـي طريق البناء.. بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

قم ـ مؤسسة باقر العلوم للبحوث

مقدمة المترجم

يمثل جبل عامل علامة مضيئة في لبنان، ورغم ابعاده الجغرافية المحدودة فقد احتل رقعة واسعة ليس في تاريخ لبنان بل في تاريخ الشرق المسلم بأسره، فلقد انجبت ارض الجبل العشرات من مفاخر العلم والادب وأسهمت في بناء الحضارة الإسلامية. وبحكم انتماء جبل عامل الىٰ التشيع فقد تكونت علاقات وثيقة بينه وبين مراكز العلم في العديد من المدن والحواضر الإسلامية.

ومن هنا فان الفكر العاملي لم يبق اسير منطقة أو اقليم معين بل انطلق الىٰ آفاق واسعة تمتد لتشمل مساحة شاسعة من العالم الإسلامي، تبدأ من «جزين» القرية الصغيرة لتعبر سوريا والعراق وايران ثم افغانستان والهند.

ويعدّ الشهيد الأوّل واحداً من تـلك الشـخصيات الفـريدة فـي التأريخ، وكان رائداً لمدرسة فقهية جديدة، ولعلّ من ابرز السمات في شخصيته الإنسانية أنه كان يسعىٰ لتوحيد كلمة المسلمين محاولاً ردم الهوّة بين الشيعة والسنة واذابة الجليد المتراكم بين الفـريقين، وقطَع في ذلك الطريق شوطاً كبيراً، الأمر الذي اقلق الحكّام وأقضّ مضاجع المتنفّذين من الإنتهازيين وأصحاب الطموح.

فحيكت ضدّه مؤامرة قذرة ساعدت الظروف علىٰ نجاحها فـي تصفيته بطريقة مؤسفة تشكل في النهاية وثيقة ادانة صارخة لعصره.

كمال السيّد

الفصل الأول

بلاد العلم والعمل

ما تزال قمم جبل عامل شامخة في جنوب لبنان، وماتزال مدنها تتلألأ بفكرها وايمانها ومقاومتها للإحتلال الأجنبي.

جبل عامل كوكب ساطع في سماء التاريخ الشيعي. وعندما يذكر المرء جبل عامل تتداعىٰ أمامه عشرات الذكريات الحلوة والمـرة، فتشكل بتسلسلها فصولاً مثيرة من تاريخ الإسلام في هذه المنطقة من العالم.

ولقد برزت جبل عامل كوجود شيعي في الخط الأوّل، فـذاقت الأمرّين من العذاب والإضطهاد، وشهدت أرضُها المذابح والمجازر على مرّ التاريخ واختلاف العصور والأزمنة.

وتعود جذور التشيع في تلك المنطقة الىٰ عـهود مـبكّره جـدّاً، وبالتحديد إلىٰ قدوم الصحابي أبي ذر الغفاري أثـناء مـحنته وهـو ينتقل من منفىٰ الىٰ منفىٰ. فلقد بذرت كلماته النفّاذة ولاء عليّ في القلوب وزرعت حبه في النفوس، و ما اسرع ماتفتحت عن براعـم

طاهرة اشتدّ عودها وضربت جذورها عميقاً عمق الإيمان.

وما يزال المسجد الذي بناه ابوذر قائماً في بلدة تـدعىٰ مـيس الجبل .. ومايزال يحمل اسم ذلك الصحابى الجليل.

ولم يبدأ تاريخ جبل عامل مع الإسلام، بل يمتدّ إلىٰ حقب بعيدة تقترن مع ظهور النبوات الأُولىٰ في التّاريخ البشري.

وهكذا بقيت جبل عامل موطناً للعلماء والعـباقرة والمـفكّرين؛ فإليها ينتمي «الشيخ علي بن الحسين الكركي» المعروف بالمحقق الثاني، و «الشيخ لطف الله الميسي» حيث مسجده ما يزال قائماً في إصفهان يحجّ اليه الآلاف من عشّاق الفن الإسـلامي كـل عـام. و «الشيخ بهاء الدين العاملي» المعروف بـ «الشـيخ البـهائي» ووالده «الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي»، وبين كل هؤلاء يبرز كل من «الشهيد الأوّل»، و «الشهيد الثاني».

وتمتد السلسلة الذهبية بلا انتهاء لتشمل حديثاً: «السيد محسن الأمين العاملي» و «السيد عبد الحسـين شـرف الديـن العـاملي» رضوان الله عليهم اجمعين.

ولقد اشار إلىٰ هذه المفخرة لجبل عامل، الحـر العـاملي مـؤلف كتاب «وسائل الشيعة»، فقد نُقل اليه اشتراك سـبعين مـجتهداً فـي تشييع جنازة في قرية من قرىٰ جبل عامل وذلك في عصر الشهيد

الأوّل، وإنّ علماء الشيعة في جبل عامل يبلغون نحو الخمس من علماء الشيعة في جميع الأقطار مع ان بلادهم أقل من عُشر عُشر بلاد الشيعة[١].

وهكذا تحتل جبل عامل بمساحتها الجغرافية المحدودة رقعة واسعة من التاريخ الإسلامي والإنساني الطويل.

وفي هذا الكتاب سنبدأ رحلتنا مع شخصية من شخصيات جبل عامل العملاقة؛ الا وهو «الشهيد الأوّل».

مطلع الشمس

التاريخ يشير الىٰ عام ٧٣٤هـ، وجبل عامل تلك الأرض الطيّبة التي يكاد ترابها يمتزج بتراب فلسطين المقدّس ينتظر حادثة من نوع ما .. حادثة تكاد ترتفع الى مستوىٰ البشارة.

أجل، لقد أشرقت الشمس في افق «جزّين» فعمّت أنوارها الخافقين.

ففي بيت صغير يفوح بحبّ آل البيت (عليهم السلام) ومن شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ومن أب عالم فقيه هو الشيخ «محمد

---

١ ـ أمل الآمل ج ١ ص ١٥.

المكي» المعروف بجمال الدين، وُلد صبي ملأ البيت المتواضع نوراً وحبوراً.

وبدأ بولادته فصل جديد في مسيرة العلم بجبل عامل، بعد أن سجل التاريخ هذه السطور:

الإسم: محمد.

اللقب: شمس الدين ثم الشهيد الأوّل.

الأب: الشيخ محمد المكي الملقب بجمال الدين أو شرف الدين.

الأم: سيدة علوية من آل مُعية في العراق.

الجد: الشيخ محمد شمس الدين.

تاريخ الولادة: ٧٣٤ هـ.

محل الولادة: بلدة جزين في جبل عامل.

نسبه

للشخصية الإنسانية مقوماتها التي تتوارث بعض خصائصها الأجيال جيلاً بعد جيل. وعندما يجتمع النسب الطاهر مع البيئة الطاهرة تولد العبقرية؛ وهذا ما حصل للشهيد الأول، فمن جهة النسب تعود جذوره الىٰ اربع قبائل عربية عريقة هي «همدان»، «الأوس»، «الخزرج» و «بني المطلب».

فقد ورد بخط الشيخ المكي بن محمد وهو من احفاد الشهيد الأول ومن علماء القرن الثاني عشر الهجري مايشير الىٰ انتسابه الىٰ قبيله همدان[١]، وذلك عن طريق جدّتهم الكبرىٰ، ولا يخفىٰ علىٰ أحد مواقف تلك القبيلة المساندة لعلي ومواقفها النبيلة ابان الفتن والمؤامرات التي عصفت بالعالم الإسلامي يومذاك. ويكفي ان نشير إلىٰ شخصية الحارث الهمداني والمنزلة الرفيعة التي يشغلها في قلب علي.. قلب الإسلام النابض، وان نتوقف عند كلمات الإمام مشيداً بدور القبيلة المشرّف في التاريخ، وهو يقول:

فلو كنت بوابا علىٰ باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ويعود نسبه إلىٰ قبيلة «الخزرج». وقد سجّل ذلك: «الشيخ سليم» وهو من أحفاد الشهيد أيضاً؛ حيث يُرجع نسبه إلىٰ تلك القبيلة عن طريق والدة أبيه؛ والخزرج غنية عن التعريف، اذ تمثل قطاعاً عريضاً من الأنصار، وزعيمها سعد بن عبادة الذي ابدىٰ موقفاً متصلباً تجاه مسألة الخلافة بعد رحيل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، الى ان لقي مصرعه في ظروف غامضة.

---

١ ـ حياة الإمام الشهيد الأول ص ٢٧.

ويعود نسب الشهيد من جهة ابيه الىٰ بني عبد المطلب، ومن هنا فقد كان يلقب بالشريف، وهو عادة مايطلق علىٰ مـن يـنسب الى الحسن المجتبىٰ(عليه السلام)، ويعرف ايضاً بالمطلبي والهاشمي انـطلاقاً من ذلك.

ومن جهة امه يعود نسب الشهيد الى «سعد بن معاذ» زعيم قبيلة «الأوس» الذي يعدّ في طليعة الصحابة المخلصين ممن تفانوا فـي اعلاء كلمة الله في ارضه، وما فتئ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يستشيره في المواقف المصيرية والحساسة، فلا يجد منه سـوىٰ الإخـلاص والشجاعة والحكمة.

وما تزال كلماته للرسول يوم بدر مدويّة:

«والذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر لخضناه مـعك مـا تخلّف منا رجل واحد».

ولقد صعّد موقفه الروح القتالية في القوات الإسلامية، وزاد من عزمها في المضي قدماً في طريق الجهاد وإعلاء كلمة الإسلام.

ولد سنة ٣٢ هـ. ق واستشهد متأثراً بجراحه في العـام الخـامس الهجري اثر اصابته بسهم في مناوشات الخندق.

وبلغ من اجلال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له ان شيّع جنازته حافياً معرباً عن عميق ألمه ومصابه وحزنه.

وهكذا لم يتوفّر لأحد مثلما توفّر للشهيد الأول من نسب عريق وجذور بعيدة الغور ضاربة في أعماق التاريخ.

مدينة النجوم

في جزين .. تلك القرية الصغيرة من قرىٰ جبل عامل، كانت البداية. فتح الصبي عينيه في هذه البقعة من دنيا الله، فاستنشق هواءها العليل، وارتوىٰ من مياهها العذبة الصافية، وترعرع في بيئة مترعة بالعلم والفكر والإيمان.

واذا كان التاريخ هو ذاكرة الشعوب فإنّ جزّين تتلألأ باسماء شخصيات عديدة سطعت انوارها في الآفاق، فعبد الله بن أيوب شاعر كبير عاش في عهد الإمام الرضا (عليه السلام) الثامن من أئمة اهل البيت وكان من اصحابه وانصاره، و «الشيخ اسد الدين الصائغ الجزّيني»، و «الشيخ احمد بن طي الجزّيني» الجدّ الأكبر للشهيد الأوّل وغيرهم من النجوم التي أشرقت في سماء الإسلام ثم غابت.

ولكن لكل بداية نهاية، وجزّين التي كانت موطناً للمسلمين ولشيعة أهل البيت يوماً ما، تطوح بها عاديات الزمن فيحتلها الصليبيون ويدمّرون آثارها ويخرّبون مساجدها فلا تجد للمسلمين اليوم بها من اثر سوىٰ عدة بيوتات، ويتحول منزل الشهيد الأوّل الىٰ

شارع عادي فلا يدلّ على أثره سوىٰ رخامة تشير الىٰ وجوده في هذا المكان، اما المسجد الذي كان يحمل اسمه فيتحول الىٰ كنيسة.

نشأته

امضى «محمد» طفولته في جزين في بيئة مفعمة بروح الإيمان، وفي جوّ فكري فريد، وكان لوالديه والظروف الإجتماعية المناسبة الأثر الكبير في نمو شخصيته، غير غافلين عن مواهبه الذاتية وما امتاز به من ذكاء حادّ، الأمر الذي ساعد علىٰ تجلّي قابلياته الفذّة في وقت مبكر جدا فلفت بذلك انظار الجميع.

مضىٰ ستة عشر ربيعاً من حياته، ويشعر الشابّ بأنه قد ارتوىٰ علما وأنه بحاجة إلىٰ المزيد المزيد فطفق ينظر الىٰ الآفاق البعيدة ويحلم بالسفر.

الهجرة

«وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم

يحذرون»[١].

وهكذا شدّ الشهيد الاوّل الرحال بـعيداً عـن وطـنه، وذلك فـي عام ٧٥٠ هجرية، فكان أوّل من يهاجر من جبل عامل الىٰ العراق لطلب العلم وكانت مدينة الحلّة هـي أولىٰ مـحطّاته خـلال حـياته الحافلة بالأسفار.

---

١ ـ التوبة : ١٢٢.

مدينة الحلّة في عصر الشهيد

كانت الحلّة في طليعة المدن والحواضر الإسلامية وكانت، مركزاً مهمّاً من مراكز الفكر الإسلامي، وقاعدة كبرىٰ للمذهب الشيعي بعد مدينة بغداد التي احتلت المرتبة الأُولىٰ منذ عصر «الشيخ المـفيد» المتوفىٰ سنة ٤١٣ هـ. وتلاميذه من بـعده، وفـي طـليعتهم «السـيد المرتضىٰ علم الهدىٰ» المتوفىٰ سنة ٤٣٦ هـ.، وشيخ الطائفة «الشيخ الطوسي» المتوفىٰ سنة ٤٦٠ هـ. حيث يُعدّ هؤلاء من مؤسسي تلك القاعدة العريضة من الفكر والعلوم. وكانت حلقات الدروس التـي يعقدونها تزخر بالعلماء؛ ففي درس الشـيخ الطـوسي كـان يـحضر ثلاثمئة من المجتهدين الشيعة وعدد لا يحصىٰ من العلماء ومفكري

اهل السنة[١].

غير أن الوضع السياسي القلق ووقوع بغداد في مهبّ العاصفة الهوجاء للمغول أطاح بذلك الصرح الفكري من الأساس، فقد احتلت جيوش هولاكو بغداد ودمّرت جميع مدارسها ومراكزها العلمية وانتهت بشكل رسمي ـ الحكومة العباسية.

ولعلّ وجود مدينة الحلّة بجوار بغداد ساعد على انتقال الحركة الفكرية اليها بعد ان وجد بعض العلماء فيها مأمناً من غارات المغول، وهكذا شدّوا اليها الرحال مودّعين بغداد بعد افول شمس الحضارة الإسلامية في العاصمة الكبرىٰ.

وفي الحلة تشكلت حلقات الدرس، واصبحت المدينة بعد مدة وجيزة مركزاً علمياً كبيراً يشار اليه بالبنان.

ويعود الفضل في ذلك الىٰ المحقق الحلي المتوفىٰ سنة ٦٧٦ هـ. مؤلف الكتاب المشهور «شرائع الإسلام»[٢] وإلىٰ العلامة الحلّي نابغة عصره المتوفىٰ سنة ٧٢٦ هـ. فقد كان فيلسوفاً متكلماً وفقيهاً كبيراً، غير ناسين نجله الكريم فخر المحققين المتوفىٰ سنة ٧٧١ هـ.

---

١ ـ مقدمة اللمعة الدمشقية ص ٥٢.

٢ ـ يعد الكتاب اوّل دورة كاملة في الفقه الشيعي، يقع في اربعة فصول: العبادات، العقود، الإيقاعات والأحكام. وقد ترجم حتىٰ الآن إلى لغات مختلفة من بينها الفارسية والروسية والفرنسية.

إقامته في الحلّة

أمضىٰ الشهيد خمسة أعوام في مدينة الحلّة ودرس علىٰ يد العديد من اساتذتها، وكانت الحلة يومها تزخر بالعلماء الكبار الذين نذروا انفسهم لخدمة الدين والعلم من امثال السيد جمال الدين الموسوي، والسيد عميد الدين الحسيني وأخيه السيّد ضياء الدين، وابن معيّة الحسيني ونجم الدين جعفر بن نما وغيرهم من كبار الفقهاء.

وفي تلك المدة كان الشهيد يتخذ من الحلة منطلقاً لرحلاته وأسفاره الىٰ بغداد وكربلاء والنجف وغيرها من مدن العراق الأخرىٰ.

وما لبث فخر المحققين أن وقف علىٰ نبوغ تلميذه الشاب وذكائه الخارق، فأعجب به وأدناه منه، وراح يحوطه برعاية خاصة منتهزاً الفرص والمناسبات للإشارة الىٰ منزلته وعلو شأنه ورفيع مقامه. وفي العشرين من شهر شعبان عام ٧٥١ هـ. منح فخر المحققين تلميذه العبقري اجازته في نقل الرواية مؤكداً فيها علىٰ نبوغه، وقد كتب بخط يده علىٰ ظهر كتاب (القواعد): «قرأ عليّ مولانا الإمام العلامة الأعظم أفضل علماء العالم سيد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحق والدين (محمد بن مكي بن محمد بن حامد) ادام الله

أيامه، من هذا الكتاب مشكلاته، وأجـزت له روايـة جـميع كـتب والدي (ﷺ) وجميع ما صنّفه اصحابنا المتقدمون (رضي الله عـنهم وعن والدي) بالطرق المذكورة لها»[1].

وإذا عرفنا ان هذه الشهادة قد مُنحت له وهـو لم يـبلغ السـابعة عشرة من عمره، ادركنا مدىٰ عبقرية هذا الشاب التـي تـدعو الىٰ الاعجاب.

ولم يكتفِ فخر المحققين بهذه الحقيقة بل وزادها وضوحاً بقوله: «لقد استفدت من تلميذي محمد بن مكي اكثر مما استفاد مني»[2].

العودة إلىٰ الوطن

امضىٰ الشهيد خمسة اعوام بعيدا عن وطنه، ولعل الحنين والشوق الىٰ الأرض التي وُلد فيها قد دفعه بالعودة، فشدّ الرحال إلىٰ جزين قريته الجميلة حالماً باللقاء، وهو يشدو بالآية الكريمة: «ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون».

وهكذا عاد الشهيد إلىٰ وطنه، وفي أعماق قلبه تصميم راسخ على انشاء مدرسة علمية كبرىٰ.

---

١ ـ روضات الجنات ص ٥٩٠ .

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٣٨.

الىٰ الأرض التي وُلد فيها قد دفعه بالعودة، فشدّ الرحال إلىٰ جزين قريته الجميلة حالماً باللقاء، وهو يشدو بالآية الكريمة: «ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون».

وهكذا عاد الشهيد إلىٰ وطنه، وفي أعماق قلبه تصميم راسخ على انشاء مدرسة علمية كبرىٰ.

كان عمره واحداً وعشرين عاماً عندما عاد إلىٰ جزّين انه لم يزل شابّاً في مقتبل العمر، ولكن شخصيته العلمية قد قفزة عملاقة جعلته فريداً في عصره.

سياحته في الآفاق

قام الشهيد بأسفار طويلة ومتعددة الىٰ نقاط مختلفة من العالم الإسلامي، وكان في كل أسفاره يحمل هموم الإنسان، فلم يكن الشهيد ليفكر بتجارة أو كسب مادّي ولم يكن ليفكر بالترفيه عن نفسه، بل كان كل هدفه لقاء العلماء من الشيعة والسنة، والإستفادة من تجاربهم، فكان العلم هاجسه الوحيد اينما حلّ أو رحل.

وبالرغم من كونه فقيهاً كبيراً من فقهاء الإمامية، فقد كان علىٰ

البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم الىٰ البخاري، وكذا صحيح مسلم، ومسند ابي داود، وجامع الترمذي، ومسند أحمد، وموطأ مالك، ومسند الدار قطني، ومسند ابن ماجة، والمستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم بن عبد الله النيسابوري».

وهذه الوثيقة تشير الىٰ مدىٰ ارتباط الشهيد الوثيق بعلماء اهل السنة في مختلف انحاء الوطن الإسلامي وتفاعله معهم وتفاعلهم معه.

ولم يقتصر اهتمامه بالمدرسة الفقهية السنية علىٰ الإطلاع فقط، بل وتفوّق فيها تفوّقاً ملحوظاً دفع علماءها للرجوع اليه في بعض المسائل المعقدة.

اساتذة الشهيد

ربّما يساعد استعراض الاساتذة الذيـن درس عـندهم الشـهيد الأوّل في اكتشاف جانب من جوانب تلك الشخصية الفريدة.

فلم تقتصر دراسته في بلد محدود أو لدىٰ استاذ معين بل وحتىٰ مذهب ما، فلقد جاب أقطاراً عـديدة والتـقىٰ شـخصياتها البـارزة ودرس عندها مختلف العلوم والأفكار.

اساتذته من فقهاء الشيعة

١ ـ الشيخ جمال الدين المكّي والده واستاذه الأول فـقد تـلقىٰ على يديه مبادئ العربية والفقه وكان من كبار العلماء والفضلاء في

عهده[١] واشار الشهيد الأوّل متحدثاً عن والده: «كان من تلامذة الشيخ (نجم الدين طوقان) المقربين»[٢].

٢ ـ الشيخ اسد الدين الصائغ الجزيني: وهو ابو زوجته وعم ابيه وكان عالماً كبيراً يتقن ثلاثة عشر علماً من العلوم الرياضية[٣].

٣ ـ فخر المحققين، الشيخ ابو طالب محمد ـ ابن العلاّمة ـ الحلّي المتوفى سنة ٧٧١ هـ. قال فيه المحقق القمّي: «جليل القدر عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير العلم، وحيد عصره، وفريد دهره، جيد التصانيف، حاله في علو قدره وسمو مرتبته وكثرة علومه اشهر من أن يذكر، وكفىٰ في ذلك أنه فاز بدرجة الإجتهاد وهو في السنة العاشرة من عمره الشريف.»

وفخر المحققين أول استاذ للشهيد بعد هجرته من جزّين وكان له دور مؤثر في بناء شخصيته العلمية.

٤ ـ تاج الدين السيد محمد بن قاسم المعروف بـ«ابن مُعية المتوفى سنة ٧٧٦ هـ وهو من كبار العلماء في مدينة الحلّة يومذاك وكان من تلامذة العلامة الحلي ويعد عالماً موسوعياً برع في كثير من

---

١ ـ أمل الآمل ج ١ ص ١٨٥.
٢ ـ المصدر السابق ص ١٠٣.
٣ ـ اعيان الشيعة ج ١١ ص ١٢٩.

علوم عصره، قال عنه الشهيد الأول في بعض اجازاتـه: «أعـجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر»[١].

٥ ـ السيد عميد الدين عبد المطلب بن السيد مجد الدين المتوفى سنة ٧٥٤ هـ. وهو ابن اخت العلاّمة الحلّي وكان من كـبار الفـقهاء المتكلمين في الحلّة، قال عنه المحقق الحلي: «كان سيداً جليل القدر رفيع المنزلة عظيم الشأن كريم الأخلاق زكي الأعراق، عمدة السادة الأشراف بالعراق».

٦ ـ السيد ضياء الدين وهو أخو السيد عميد الدين ومـن كـبار العلماء في عصره أيضاً، درس عند خاله العلامة الحلّي الفقه والفلسفة والكلام.

٧ ـ قطب الدين الرازي البويهي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ. وهو من تلامذة العلامة الحلّي البارزين، كان فيلسوفاً كـبيراً، قـال الشـهيد الأول مشيداً باستاذه: «اتفق اجتماعي به في دمشق أخريات شعبان سنة ٧٦٨ هـ. فاذا هو بحر لاينزف .. ولد في ورامين[٢].

٨ ـ السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي.

٩ ـ زين الدين ابو الحسن علي بن احمد المتوفى سـنة ٧٩٢ هـ

---

١ ـ مقدمة اللمعة ص ٩١.

٢ ـ من ضواحي العاصمة طهران ـ المترجم.

قال عنه الشهيد: فقيه محقق وخبير مدقق[١].

١٠ ـ السيد علاء الدين بن علي بن زهره الحلّي المتوفى ٧٧٥ هـ

١١ ـ السيد نجم الدين مهنان بن سنان المدني، وهو من تلامذة العلامة الحلّي.

١٢ ـ الشيخ جمال الدين احمد بن حسين الكوفي.

١٣ ـ الشيخ رضي الدين ابو الحسن علي بن احمد المعروف بـ «المزيدي» المتوفى سنة ٧٥٧ هـ.

١٤ ـ الشيخ جلال الدين محمد بن محمد هاشم الكوفي وهو من تلامذة المحقق الحلّي صاحب «الشرائع».

وقد درس الشهيد اضافة الىٰ ماذكرنا لدىٰ اساتذة آخـرين[٢]. علىٰ ان الفضل في تبلور شخصيته العلمية يعود الىٰ فخر المـحققين والىٰ الأخوين عميد الدين وضياء الدين وابن معيّه اضافة الىٰ قطب الدين الرازي، فإلى هولاء العلماء تـعود الجـذور الأولىٰ لمـدرسة الشهيد في الفقه والكلام، وهناك قاسم مشترك آخر يجمعهم وهـو تتلمذهم على العلامة الحلّي وكانوا مـن ابـرز تـلامذته فـي الفـقه والكلام.

---

١ ـ مفاخر الإسلام ج ٤ ٣٣٤ ز

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل.

٨ ـ السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي.

٩ ـ زين الدين ابو الحسن علي بن احمد المتوفى سنة ٧٩٢ هـ قال عنه الشهيد: فقيه محقق وخبير مدقق[١].

١٠ ـ السيد علاء الدين بن علي بن زهره الحلّي المتوفى ٧٧٥ هـ

١١ ـ السيد نجم الدين مهنان بن سنان المدني، وهو من تلامذة العلامة الحلّي.

١٢ ـ الشيخ جمال الدين احمد بن حسين الكوفي.

١٣ ـ الشيخ رضي الدين ابو الحسن علي بن احمد المعروف بـ «المزيدي» المتوفى سنة ٧٥٧ هـ.

١٤ ـ الشيخ جلال الدين محمد بن محمد هاشم الكوفي وهو من تلامذة المحقق الحلّي صاحب «الشرائع».

وقد درس الشهيد اضافة الىٰ ماذكرنا لدىٰ اساتذة آخرين[٢]. علىٰ ان الفضل في تبلور شخصيته العلمية يعود الىٰ فخر المحققين والىٰ الأخوين عميد الدين وضياء الدين وابن معيّه اضافة الىٰ قطب الدين الرازي، فإلى هولاء العلماء تعود الجذور الأولىٰ لمدرسة

---

١ ـ مفاخر الإسلام ج ٤ ٣٣٤ ز.

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل.

٢ ـ الشيخ شرف الدين محمدبن بكتاش التستري وكان استاذا في المدرسة النظامية وأجازالشهيد روايته الصحيحين «البخاري» و «مسلم».

٣ ـ الشيخ شمس الدين ابو عبد الرحمن محمد وكان استاذاً في المدرسة المستنصرية. وقد روىٰ الشهيد عنه صحيح البخاري.

ولابدّ من الاشارة هنا الىٰ نقطتين، أولاهما: التأكيد علىٰ مدى المعاناة والمتاعب التي تواجه طلاّب العلوم في عصر المخطوطات التي تعجّ بالتصحيف اضافة الىٰ ندرتها، وفوق كل هذا مشكلة النقل ومشاقّ الطريق مما يستنفد وقتاً وجهداً كبيرين. والنقطة الثانية تكمن في ذلك الإنتشار الذي يقارب التشتت في المراكز العلمية فلم تكن ـ مثلما عليه اليوم ـ محصورة في عدة مدن رئيسية فقط، كالنجف، وقم و مشهد. وامام هذه الظروف فإنّ المرء ليقف بإجلال وإعجاب للشهيد الأوّل وهو يطوي تلك المسافات الشاسعة متنقلاً هنا وهناك يشدّه في كل ذلك طلبه للعلم اينما يكون.

اجازاته

عادة ماتَمنح المراكز الثقافية والجامعات العلمية لطلبتها شهادات تؤيد انهاءهم لمرحلة ما من مراحل الدراسة؛ فهناك شهادة الدبلوم،

والبكلوريوس، والماجستير، والدكتوراه، وغير ذلك من الشهادات. ومما يدعو الىٰ الأسف ان تتحول تلك الشهادات إلىٰ هدف بذاتها دون أن تدلّ علىٰ علمية صاحبها لا من قريب ولا من بعيد. وقد تتداعىٰ المعاني، فتنسحب تلك المظاهر عَلىٰ الإجازات التي تمنحها الحوزات الدينية للطلبة والدارسين للعلوم الإسلامية. ولذا فمن اللازم الإشارة الىٰ ان تلك الإجازات لا تمنح اعتباطاً وانما يؤخذ بنظر الإعتبار المستوىٰ العلمي؛ هذا بالدرجة الأولىٰ، ثم الجانب الاخلاقي الذي يعدّ الميزان العام والملاك الشامل لكل الحقول العلمية. والإجازات هنا نوعان:

الأوّل: اجازة في الإجتهاد.

الثاني: اجازة في نقل الرواية.

فالإجازة الإجتهادية يمنحها المرجع الديني الأعلىٰ في الحوزة العلمية عندما يشخّص بنفسه ملكة الإجتهاد عند بعض الدارسين وانه قد بات قادراً علىٰ استنباط الحكم الشرعي من مصادره الأربعة: (الكتاب، والسنّة والإجماع والعقل).

اما اجازة نقل الرواية فتعدّ مقاماً علمياً أدنىٰ من اجازة الإجتهاد إذ تنحصر بنقل الروايات عن النبي (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمّة المعصومين(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). وهو امر تعارف عليه الفقهاء والعلماء في

الماضي كشهادة تقدير لبعض تلامذتهم المبرّزين الذين أتقنوا حقولاً معينة من العلوم الإسلامية.

نجوم تمنحه البريق

حصل الشهيد الأول علىٰ اجازات عديدة من كثير من الاساتذة والشخصيات العلمية في عصره وكانت تعدّ اوسمة وشهادات تؤكد عبقريته ونبوغه نشير الىٰ بعضها.

١ ـ اجازه فخر المحققين نجل العلاّمة الحلّي، وهو من أعظم أساتذته علىٰ الإطلاق، مرّات عديدة، وهو أول من اكتشف مبكراً مقدرة الشهيد العلمية ونبوغه الفريد؛ ففي الإجازة التي كتبها له بخطه علىٰ كتاب «القواعد» عند قراءته عليه: «قرأ عليّ مولانا الإمام العلاّمة الأعظم أفضل علماء العالم سيد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحق والدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد أدام الله أيامه، من هذا الكتاب مشكلاته، وأجزت له رواية جميع كتب والدي(قدس سره) وجميع ماصنّفه أصحابنا (رضي الله عنهم) عن والدي بالطرق المذكورة»..

ولقد أجازه فخر المحققين لأول مرّة بداره في الحلّة وذلك عام ٧٥١ هـ. وكان عمر الشهيد يومها لا يتجاوز السبعة عشرة عاماً فقط.

ثم أجازه مرّة أخرىٰ في السادس من شوال سنة ٧٥٦ هـ. ثم أجازه مرّة ثالثة في نفس العام أيضاً.

٢ ـ أجازه ابن معيّه تاج الدين اكثر من مرة احداها كان بتاريخ ١٥ شوّال سنة ٧٥٣ هـ. والأخرىٰ بتاريخ ١٥ شوّال سنة ٧٥٤ هـ. كما أجاز ولديه «أبا طالب محمد» و «أبا القاسم علي» وذلك سنة ٧٧٦هـ

٣ ـ أجازه الشيخ جلال الدين ابو محمد الحسن بن احمد الحلّي بتاريخ ربيع الأول سنة ٧٥٢ هـ.

٤ ـ وكذا أجازه كل من الاخوين السيد عميد الدين والسيد ضياء الدين اجتهاداً ورواية كما ذكر ذلك صاحب روضات الجنات.

٥ ـ وأجازه أيضاً الشيخ قطب الدين الرازي مرّتين احداها سنة ٧٦٨ هـ. والأخرىٰ في سنة ٧٧٦ هـ.

ولم تقتصر اجازاته علىٰ علماء الشيعة بل تعدّت لتشمل علماء أهل السنّة أيضاً ونذكر في طليعتهم كل من:

ـ الشيخ محمد بن يوسف الشافعي، وقد اجازه في الرواية في بغداد عام ٧٥٨ هـ.

ـ الشيخ جمال الدين ابو أحمد عبد الصمد الحنبلي وكان أستاذاً في مدرسة «دار الحديث» ببغداد وقد اجازه في شهر ذي الحجّة من سنة ٧٥٤ هـ وكان يومها في منىٰ.

ـ الشيخ عزّ الدين الدين عبد العزيز قاضي القـضاة فـي مـصر يومذاك وقد اجاز الشهيد في المدينة المنورة سنة ٧٥٤هـ.

ومن هنا يتّضح مدىٰ اطلاع الشهيد الأول علىٰ أمّهات الكتب في الحديث والفقه وكذا عمق تـلك العـقلية وانـفتاحها عـلىٰ مـختلف المدارس والمذاهب الفكرية في تلك الحقبة من الزمن.

الفصل الثاني

تأسيسه المدرسة

عندما بلغ الشهيد الأوّل أواسط عمره الشريف كان قد اضحىٰ شخصية علمية فريده شدّت اليها عشاق المعرفة وهدت اليها قلوب التائهين فاذا هو مشعل وضّاء وسراج منير يهدي الىٰ الدرب اللاحب القويم، فلقد اضحى فقيها كبيراً ومتكلّماً ومحدّثاً مطلعاً وأديباً مبرزاً، له في كل ميدان صولة وفي كل ساحة جولة وبلغت شهرته الآفاق.

ولعلّ أبرز خدماته الثقافية بعد عودته من بلاد الهجرة في العراق، وبالتحديد من مدينة الحلّة، هو تأسيسه مدرسة فقهية في مسقط رأسه بجزّين، فاقت جميع مدارس جبل عامل.

ويشكّل ظهور هذه المدرسة الكبرىٰ انعطافاً في تأريخ تلك البلدة بل تاريخ جبل عامل حيث خرّجت الكثير من العلماء والمفكرين والاساتذة انتشروا في مدن الوطن الإسلامي.

ولقد ساعد انحلال الدولة العباسية وظهور حكومة البويهيين في العراق وإيران، وبروز دولة الحمدانيين في حلب والفاطميين في

مصر علىٰ تنشيط التحرك الثقافي والسياسي للشيعة الذيـن عـانوا ألواناً من الاضطهاد والتعسف عبر تاريخ طويل. ولقد كـان لجـبل عامل النصيب الأوفر في كل ذلك حيث تقف مدرسة جـزّين فـي طليعة التحرك الثقافي في تلك الفترة من الزمن.

دعم الشعب

لا يمكن تحديد المدّة التي قضاها الشهيد في جزّين بعد عودته، فلقد قام بعد تأسيسه المدرسة بعدّة رحلات الىٰ فلسطين ودمشق.

ولكن يمكن القول بأنه أنفق سنوات طويلة من عمره الشريف في جزّين وجبل عامل منصرفاً الىٰ تأليفاته وتربيته لتلامذته والإهتمام بمشاكل الناس والعمل علىٰ حلّها، حتى لقد اضحىٰ قبلة يتوجّه اليه الناس من كل حدب وصوب، واصبح منزله ملاذاً للـجميع خـاصّة الشيعة الذين كانوا ينظرون اليه كمنقذ لهم، اذا طوّحت بهم عاديات الزمن، فلُقّب علىٰ أثرها بـ«ملجأ الشيعة».

تربيته التلاميذ

برزت شخصيته الاستاذية في وقت مـبكر، فـقد بـدأ بـتدريسه «قواعد» العلامة الحلي، والتهذيب، وعلل الشرائع وكتب أخرىٰ في

الفقه والأصول والحديث.

ولم تقتصر دروس الشهيد علىٰ الحلة أو جـزين فـي مـدرسته الخاصّة، انما كانت رحلاته المتعددة والطويلة التي كان يقوم بها بين حين وآخر بمثابة مدرسة سيارة تتنقل بين مصر والحجاز وسوريا وفلسطين والعراق وغيرها من البلدان الإسلامية.

وقد تمكن الشهيد خلال تلك الفترة ان يخلّف عـدداً كـبيراً مـن العلماء الذين تخرجوا علىٰ يديه؛ ويمكن الإشارة هـنا الىٰ اسـماء بعض تلامذته؛ وفي طليعتهم السيد ابوطالب احمد بن قاسم بن زهرة الحسيني، والشيخ جمال الدين احمد بن النجار صـاحب الحـاشية علىٰ «قواعد العلامة الحلي» والشيخ جمال الدين ابو منصور حسن، وهو ابنه حيث أجازه مع أخويه[1]، والشيخ ضياء الدين ابو القـاسم علي ابن الشهيد «الأوسط»، والشيخ رضي الدين ابو طالب مـحمد، وهو اكبر اولاده، أجازه الشهيد مرتين[2]. كما عني (رضوان الله عليه) بتربية ابنته فاطمة التي اشتهرت فيما بـعد بـلقب «ست المشـايخ»، فكانت مثال الفتاة المؤمنة المثقفة، وأضحت مـحطّاً لإجـلال عـامة الناس. ولما توفيت شارك في تشييع جثمانها سبعون مجتهداً.

---

١ ـ بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٤.

٢ ـ الذريعة ج ١ ص ٢٤٨.

ومن تلاميذه ايضاً الشيخ شرف الدين ابو عبد الله مقداد بن عبد الله المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. وكان من كبار الفقهاء. له عدة مؤلفات فقهية، وكذا السيد بدر الدين حسن بن أيوب المعروف بـ«ابن نجم الدين الأعرجي الحسيني» ويعد من ابرز تلاميذ الشهيد وفضلائهم، والشيخ شمس محمد بن العالي الكركي. ومما يدل علىٰ مكانته احتفاء الشهيد به واستقباله له لدىٰ عودته من حج بيت الله الحرام بأشعار رقيقة.

ومن تلامذة الشهيد: الشيخ زين الدين ابو الحسن علي المشهور بـ«ابن الخازن»[1]، وقد اثنىٰ عليه الشهيد في اجازته له.

وهكذا تتسلسل اسماء تلاميذه من كبار العلماء والفضلاء لتشمل قائمة تضم اثنين وثلاثين عالما كبيراً علىٰ ماذكره المحقق محمد رضا شمس الدين[2] في كتابه.

---

١ ـ روضات الجنات ص ٨.

٢ ـ من احفاد الشهيد الأوّل.

قائمة تضم اثنين وثلاثين عالما كبيراً علىٰ ماذكره المحقق مـحمد رضا شمس الدين[1] في كتابه.

---

١ ـ من احفاد الشهيد الأوّل.

ولقد كان (رضوان الله عليه) يـعرض أفكـاره وآراءه بـأسلوب أخّاذ يدلّ علىٰ تمكنه من اساليب الكلام، وماتزال كتبه رغم تعاقب القرون مناهج في دراسة العـلوم الديـنية. ومـاتزال بـعض آثـاره مخطوطة حتىٰ اليوم؛ كما ضاعت بعض آثاره ومـؤلفاته الأخـرىٰ. علىٰ ان ماهو موجود اليوم ليشكل وحده مكـتبة ضـخمة ودائـرة معارف كبرىٰ تزخر بمختلف العلوم.

مؤلفاته في الكلام

يشكّل علم الكلام قاعدة عريضة في الحـوزات العـلمية وذلك لارتباطه الوثيق بالعقائد الاسلامية كمسائل التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد، حيث يشكّل مجموع ذلك أساساً لقاعدة متينة في بناء الشخصية الإسلامية.

ومن هنا يتوجب علىٰ كل مسلم الإيمان بهذه العقائد انطلاقاً من ادلّة عقلية وفطرية، حيث تنتفي في هذه الدائرة الحسّاسة كلّ أشكال التقليد والتبعية العمياء.

ولقد كان العلماء في ما مضىٰ يجمعون بين الكلام والفلسفة في اطار علم واحد رغم رقعتهما العريضة واتّساعهما، أمّا فـي الوقت الحاضر فقد بدأ نوع من التخصص، وتعدّدت في ظله اقسام وحقول

غاية في العمق.

ولقد كان الشهيد الأوّل من الشخصيات التي بلغت قمة التخصص في مسائل الكلام والفلسفة، وكان يُعدّ أستاذاً من الطراز الاول ويكفيه فخراً أنه أخذ الفلسفة والكلام عن أستاذٍ قدير هو قطب الدين الرازي. والجدير ذكره هنا ان الرازي قد درس هذا العلم علىٰ يد العلاّمة الحلّي، وأن العلامة الحلّي كان من تلاميذ المحقق الطوسي الذي يعدّ علماً كبيراً في الفقه والكلام، ومن هنا يمكن القول ان الشهيد الأول كان القناة التي اجتمع فيها الفكران الفلسفي والكلامي مرّة اخرىٰ وذلك عبر الوسيطين الآنفي الذكر. ومن آثاره في الكلام مايلي:

١ ـ المقالة التكليفية: وهي رسالة في العقائد والكلام، فرغ الشهيد من تأليفها في ليلة السبت الحادي عشر من جمادىٰ الأولىٰ سنة ٧٦٩ هـ. وقد شرحها الشيخ زين الدين يونس البياضي ودعاها بالرسالة اليونسية في شرح التكليفية الشهيدية.

٢ ـ المسائل الأربعينية: ويشمل الكتاب اربعين تحقيقاً حول مسائل العقائد والكلام ولم تطبع بشكل مستقل، فقد طبعت ضمن كتاب آخر هو «مختصر تاريخ الشيعة في لبنان» للشيخ احمد عارف الدين، وهناك نسخة خطية للكتاب بخط المرحوم السماوي،

جعلها تحت عنوان «جذوة السلام في مسائل الكلام».

٣ـ العقيدة: وهو رسالة مختصرة في العقائد الإسلامية.

مؤلفاته في الحديث

يعدّ الحديث منبعاً ثراً لجميع العلوم الإسلامية وطريقاً لاحباً تهفو إليه القلوب والعقول، فهذا الزخم الهائل من الروايات يعتبر كنزاً ثقافياً لمن يشعر بالحاجة اليه وملاذاً لمن تاهت به الدروب وضاعت عليه جادّة الطريق.. طريق السعادة والنّجاة.

فمن خلال احاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل بيته (عليهم السلام) يستطيع العلماء الارتواء من ينابيع القرآن المتدفقة علماً ومعرفة، وما الفقه الشيعي الاّ خلاصة لأحاديث المعصومين (عليهم السلام) التي وصلت الينا عبر القرون، حاملة صدىٰ تلك الكلمات العذبة التي يرددها العلماء وطلاب العلوم. وما تزال عبارات (قال الصادق) و (قال الباقر) تتردد عبر الأعوام والأيام، وهي تحتضن في طياتها ذلك الفكر العظيم والعلوم الثرة والكنوز الكبرىٰ.

ويعدّ الشهيد الأول واحداً من اعظم المحدثين الشيعة حيث عمل علىٰ نشر ونقل احاديث المعصومين (عليهم السلام)، تشهد بذلك الإجازات التي منحت له، واجازاته التي منحها الآخرين.

وكان يسوق رواياته الىٰ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من خلال مئة طريق تتفرع جميعاً عن طريق استاذه فخر المحققين[١].

ومن آثاره في الحديث:

١ ـ اربعون حديثاً: ويضم الكتاب اربعين حديثاً عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أغلبها في العبادات. وقد فرغ الشهيد من تأليفه في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٧٨٢ هـ. وصدر في ايران مع كتاب «غيبة النعماني» سنة ١٣١٨ هـ. ش[٢].

وقد أولىٰ العلماء اهمية بالغة لتأليف كتب تضمّ احاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلاقاً من رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: «من حفظ علىٰ امتي اربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»[٣].

٢ ـ اربعون حديثاً: وهو كتاب آخر يختلف عن سابقه. ولعله يعدّ الجزء الثاني من ذلك الكتاب، ويضمّ حديثاً واحداً فقط فيما يحتوي علىٰ اربعين تحقيقاً عنه. وقد صدر في ايران سنة ١٣١٤ هـ. ش.

٣ ـ اختصار الجعفريات: الاشعثيات والجعفريات من الكتب

---

١ ـ روضات الجنات ج ٧ ص ٦.

٢ ـ يعتمد الإيرانيون تاريخ هجرة الرسول شمسياً. المترجم

٣ ـ الذريعة ج ١ ص ٤٢٧.

القديمة، وهي تنسب الىٰ محمد بن الأشعث أو جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فتدعىٰ باسمه. وتضمّ ألف حديث اختصرها الشهيد إلىٰ ثلاثمئة حديث فقط، توجد من الكتاب نسخة في طهران في مكتبة الشيخ ضياء الدين النوري[1].

٤ ـ مزار الشهيد: ويدعىٰ «منتخب الزيارات»، وتوجد نسخته الخطية في مكتبة السيد التستري في النجف الأشرف. وقد ترجم الىٰ الفارسية تحت عنوان «مراد المريد لمزار الشهيد» ترجمة الشيخ علي الكربلائي[2].

٥ ـ الدرر الباهرة من الأصداف الطاهرة: وهو كتاب يضم كلمات قصارا رويت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل بيته (عليهم السلام). وتوجد منه نسخة في مكتبة الطباطبائي بطهران[3].

٦ ـ مجموعة الإجازات: كتاب جمع فيه الشهيد اجازات العلماء المتقدمين.

٧ ـ مجموعة الشهيد: ويقع في ثلاثة اجزاء كبيرة قال عنها (آغا بزرگ الطهراني) في (مصفى المقال):

---

١ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٤.

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٥.

٣ ـ الذريعة ج ٨ ص ٩٠.

«وكتب الشهيد الأوّل ثلاث مجاميع ذات فوائد كثيرة».

وقال في الذريعة:

«انها ثلاث مجاميع ينقل عنها في البحار في المجلد الأوّل رسائل لمختلف العلماء. فرغ من تأليفه في الحلة سنة ٧٧٦ هـ. اما المجلد الثاني فهو اختصار للجعفريات»[١].

آثاره الشعرية

شكّل الأدب جانباً بارزاً في شخصية الشهيد الأوّل، فلقد كان كاتباً وشاعراً وأديباً، وتمتاز كتاباته بقوة الاداء والبساطة والوضوح، بعيداً عن التواءات التعقيد والغموض فجاءت كلماته سهلة وعباراته مؤثرة، خالية من أشكال السجع والتكلف التي كانت شائعة في عصره.

وبالرغم من كونه مقلاًّ في حقل الشعر، الا ان أشعاره تمتاز بالرقّة وبراعة التصوير وجمال التعبير.

يقول في مناجاة له:

---

١ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٧.

عــظُمتْ مـصيبة عـبدك المسكـين
فــي نـومه عـن مـهر حـور العـين
الأوليــاء تـمتعوا بك فـي الدجـىٰ
بــتهجد وتـــخشع وحـــنين
فـطردتني عـن قـرع بـابك دونـهم
أتــرىٰ لعـظم جـرائـمي سـبقوني؟
أوَجــدتَهم لم يُــذنبوا فــرحـمتهم
ام أذنــبوا فـعفوت عـنهم دونـي؟
ان لم يكـن يـا رب عـندك مـوضع
للــمذنبين فــأين حســن ظـنوني؟

وله أيضاً:

ليس التــصوف عكّــازا ومسـبحة
كـلا ولا الفـقر رؤيـا ذلك الشـرف
وان تــروح وتــغدو فــي مـرقّعةٍ
وتــحتها مـوبقات الكـبر والتـرفِ
وتظهر الزهد في الدنـيا وانت عـلىٰ
عكوفها كعكوف الكلب في الجِـيَفِ

هذه نماذج من أشعاره التي تؤكد بوضوح مدىٰ تمكّن الشهيد من الشعر، وتطويع المفردات والكلمات في معانٍ راقية وصور مؤثّرة.

وللشهيد ديوان يضمّ عشرين مقطوعة وقصيدة تحت عنوان «شعر الشهيد الأوّل»[1].

وللشهيد في هذا المجال شرح لقصيدة الشهفيني في مدح امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وقد اعجب به الشفهيني وامتدحه.

الشهيد الأوّل وأصول الفقه

تحتل الأصول مساحة واسعة ومهمة في الحوزات العلمية، لدورها الحياتي في بناء الفقه على قاعدة صلبة؛ ذلك ان استنباط الحكم الشرعي من مظانّه يعدّ عملاً جوهرياً بالغ الحساسية. ولقد كان الشهيد قمة من القمم الشامخة في علم الأصول، وتدلّ آثاره علىٰ مدىٰ تعمّقه البعيد الغور في ذلك.

وله في هذا الحقل كتاب تحت عنوان «جامع البين من فوائد الشرحين» والشرحان لأستاذيه الأخوين السيد عماد الدين والسيد

---

١ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٥.

ضياء الدين. فلقد كان لكل منهما شرح علىٰ كتاب «تهذيب طريق الوصول الىٰ علم الأصول» لخالهما العلامة الحلي. وقد جمع الشهيد بين فوائد الشرحين وزاد عليهما فوائد أخرىٰ.

مؤلفاته في الفقه

يعتبر الفقه من ابرز العلوم الدينية لدوره المهم والأساس في حياة الفرد والمجتمع، فمن خلاله نعرف الحلال والحرام والمستحب والمكروه والمباح من الأعمال، وبذلك تتعين ثقافة المجتمع المسلم ويتحدد سلوكه واسلوب حياته.

فالفقه ينظم شؤون الإنسان من المهد الىٰ اللحد وهو متغلغل في كل نواحي الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية، وتأتي اهميته لانه يمثل الأحكام الإلهية التي تحظىٰ برضاه سبحانه.

من هنا فان الفقه الإستدلالي انما نهض علىٰ جهود كبرىٰ بذلها علماء مختصّون ظهرت نتائج أعمالهم تلك علىٰ شكل رسائل عملية تبين للفرد المسلم والمجتمع المسلم ما له وما عليه محدِّدة دوائر الحلال والحرام اضافة الىٰ دوائر الأعمال والمواقف المباحة.

ويعدّ الشهيد الأوّل (رضوان الله عليه) أحد اكبر فقهاء المذهب الأمامي، وكان بحدّ ذاته مدرسة فقهية متقدمة دفعت بالفقه الشيعي

خـــطوات واســـعة الىٰ الإمـــام، فكـــان بـحق وريـثاً لعـلوم آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم). وفي مايلي بعض مؤلّفاته في هذه المضمار:

١ ـ الألفية: وهي رسالة فـقهية تشـتمل عـلىٰ ألف واجب فـي الصلاة، ومن هنا جاءت تسميتها بالألفية، وتتألف من مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة، وعليها شروح كـثيرة، ذكـر الشـيخ آغـا بـزرگ الطهراني في كتابه الذريعة[1] منها واحداً وثلاثين شرحاً، ومن جملة تلك الشروح شرح الشهيد الثاني تحت عنوان «المقاصد العلية».

وقذ نظمها شعراً الشيخ حسن بن راشـد الحـلّي فـي ٦٥٣ بـيتاً ونظمها كذلك الشيخ علي بن عبد الصمد الحارثي وهو عم الشـيخ البهائي وغيرهما.

٢ ـ النفلية: رسالة ألّفها الشهيد بعد الألفية وتشتمل عـلى ثـلاثة آلاف نافلة في الصلاة، ولها شروح عديدة منها ماشرحـه الشـهيد الثاني تحت عنوان الفوائد الملكية[2].

٣ ـ القواعد الكلية الأصولية والفرعية: وهذا الكتاب مشتمل علىٰ ثلاثمئة قاعدة فقهية تنجم عنها الأحكام الشرعية، كما يضمّ بحوثاً علىٰ درجة من الأهمية. وللكتاب شروح متعددة قـام بـها العـلماء

---

١ ـ الذريعة ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦١.

والفقهاء[١].

٤ ـ ذكرىٰ الشيعة في أحكام الشريعة: ويشتمل علىٰ بحوث في الطهارة والصلاة، وقد فرغ الشهيد من تأليفه في الحادي والعشرين من صفر سنة ٧٨٤ هـ. طبع جزؤه الأول في ايران قبل قرن[٢]، فيما تزال اجزاؤه الأُخرىٰ مخطوطة، وللكتاب شروح وحواش عديدة.

٥ ـ «الدروس الشرعية في فقه الإمامية» وهو كتاب بالغ الأهمية يضمّ كثيراً من أبواب الفقه ابتداءً من الطهارة وحتىٰ الرهن. أنهىٰ الشهيد جزءه الأُول في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٧٨٤ هـ. ثم لقي ربه شهيداً قبل اتمامه بقيه الأجزاء، وقد كثرت شروح العلماء عليه[٣].

٦ ـ «غاية المراد في شرح نكت الإرشاد»، وهو في الحقيقة شرح. اما المتن فللعلامة الحلي، وهو من الطهارة الى الايمان. انجزه الشهيد بتاريخ ١٥ ذي القعدة سنة ٧٥٧ هـ. ولعله أول كتبه[٤].

٧ ـ البيان: ويشتمل علىٰ بحوث في الطهارة والصلاة والزكاة والخمس، واول الأركان الاربعة من الصوم فيما يجب الإمساك عنه.

---

١ ـ المصدر السابق.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ الذريعة ج ٨ ص ١٤٥.

٤ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٣.

١ ـ الألفية: وهي رسالة فقهية تشتمل علىٰ ألف واجب في الصلاة، ومن هنا جاءت تسميتها بالألفية، وتتألف من مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة، وعليها شروح كثيرة، ذكر الشيخ آغا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة[1] منها واحداً وثلاثين شرحاً، ومن جملة تلك الشروح شرح الشهيد الثاني تحت عنوان «المقاصد العلّية».

وقذ نظمها شعراً الشيخ حسن بن راشد الحلّي في ٦٥٣ بيتاً ونظمها كذلك الشيخ علي بن عبد الصمد الحارثي وهو عم الشيخ البهائى وغيرهما.

٢ ـ النفلية: رسالة ألّفها الشهيد بعد الألفية وتشتمل على ثلاثة آلاف نافلة في الصلاة، ولها شروح عديدة منها ماشرحه الشهيد الثاني تحت عنوان الفوائد الملكية[2].

٣ ـ القواعد الكلية الأصولية والفرعية: وهذا الكتاب مشتمل علىٰ ثلاثمئة قاعدة فقهية تنجم عنها الأحكام الشرعية، كما يضمّ بحوثاً علىٰ درجة من الأهمية. وللكتاب شروح متعددة قام بها العلماء

---

١ ـ الذريعة ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦١.

ـ التسمك بقوله تعالىٰ «من كان مريضا»[١].

١٣ ـ «مسائل ابن مكي» وهو مرتب علىٰ ابواب الفقه. انتهىٰ من تأليفه في نفس العام الذي لقي فيه الشهيد مصرعه اي سنة ٧٨٦ هـ. ولعله آخر مؤلفاته[٢].

اللمعة الدمشقية أشهر مؤلفات الشهيد

تعدّ اللمعة الدمشية أشهر آثار الشهيد على الاطلاق، فهي دورة كاملة في فقه الإمامية لخّص فيها احكامه ومسائله.

وقد كتبها الشهيد جواباً علىٰ رسالة بعثها حاكم خراسان «علي بن مؤيد»[٣] طلب فيها من الشهيد قدومه ليكون مرجعاً للشيعة هناك.

ولم تسمح الظروف السياسية آنذاك بمغادرة الشهيد دمشق، ولذا اعتذر له وعوّضه عن قدومه برسالة فقهية جمع فيها ابواب الفقه باختصار لتكون مرجعاً للشيعة بخراسان فيما يعرض لهم من المسائل الفقهية.

---

١ ـ الذريعة ج ٥ ص ٢٤١.

٢ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل ص ٦٨.

٣ ـ اخر ملوك سلسلة السربداران التي حكمت خراسان في الفترة مابين (٧٣٨ ـ ٧٨٣) هـ.

وقد ألّف الشهيد رسالته هذه في اسبوع واحد، ولم يحضره مـن المراجع الفقهية سوىٰ (المختصر النافع) للمحقق الحلّي. وهذا يـدلّ علىٰ مدىٰ احاطته بمسائل الفقه.

وسلّم الرسالة الى الشيخ (شمس الدين محمد الآوي)[1] وزيـرَ علي بن مؤيد وحثّه على الاسراع في تقديمها الىٰ ملك خراسـان. وقد بلغ من حرص الآوي على الرسالة انه لم يسمح بـاستنساخها لأحد عدا بعض الطلبة وهي في يده مبالغة في الإحتياط.

وقد كتب الرسالة في ظروف بالغة الحساسية، فقد كان الشـهيد مراقَباً من قبل السلطات، ولقدا فقد جهد في الإنتهاء مـنها بـأقصىٰ سرعة.

وتمتاز (اللمعة) بروعة تعبيرها وانتظام أبوابها. ولم يجمد الشهيد علىٰ التعبيرات الفقهية المتداولة في عهده، فـلقد كـان اديـباً كـبيراً وشاعراً رقيقاً؛ ومن هنا جاءت (اللمعة) بهذه السلاسة فـي التـعبير والاسترسال في الكتابة بعيداً عن محاولات التكلف في التـعبير او اصطناع المحسنات البديعية.

وفــي هــذا الكـتاب تـطور واضـح فـي اسـتخدام وتـحديد

---

١ ـ نسبة الى قرية آوه بين قم و ساوه.

المصطلحات الفقهية لم يعهد مثله حتى عند المتقدمين من مستوىٰ (المحقق) و (العلاّمة).

ولا يعدّ الكتاب مفخرة للفكر الشيعي والإسلامي فـحسب، بـل للفكر الإنساني وما أنجزته البشرية في هذا المضمار. ولقـد تـوسع العلماء في شروح هذا الكتاب؛ يقف في طليعتها «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثاني[١].

مؤلفاته الأخرىٰ

وللشهيد الأوّل مؤلفات اخرىٰ في موضوعات مختلفة، وقد جاء بعضها كأجوبة على مسائل تلامذته من أبرزها:

١ ـ «جوابات الفاضل المقداد»، ويشتمل على سـبع وعشـرين مسألة طرحها الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري تلميذ الشـهيد، وتوجد نسختها الخطيّة في الخزانة الرضوية بمشهد[٢].

٢ ـ «جوابات مسائل الأطراوي» وهو مجموع أجـوبة الشـهيد على اسئلة تلميذه السيد بدر الدين الحسن بن ايوب بن نجم الدين

---

١ ـ هو الشهيد زين الدين الجبعي العاملي.

٢ ـ الذريعة ج ٥ ص ٢١٢.

الاطراوي[١] العاملي.

واذا كان الأثر يدل على المؤثر، فإن مؤلفات الشهيد القيمة، وفي مختلف علوم عصره، تدل على سعة اطلاعه وعمق تفكيره، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار عمره القصير وأسفاره الطويلة.

---

١ ـ نسبة الى قرية اطراء بجبل عامل.

الفصل الثالث

ملامح الشهيد

كان الشهيد نفساً طاهرة وروحاً سامية في إهاب جسد نحيف وقامة تقتحمها العيون، اما ارادته فكانت تنافس الجبال صلابة وقوة؛ وهذا هو ديدن المتقين الصالحين الذين وصفهم إمامهم عليّ بن ابى طالب بقوله:

«منطقهم الصواب وملبسهم الإقتصاد ومشيهم التواضع ... عظُم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم .. وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضىٰ ...»[1]

ارتباطه بالله

ان مايميز رجال الله من المتقين الأبرار هو ارتباطهم الوثيق بالله سواء كانوا في غمرة الناس او في اعماق السجون المظلمة. إنّهم

---

١ ـ نهج البلاغة ـ خطبة رقم ١٨٤ .

دائماً يلهجون بذكر الله يسبّحون بحمده آناء الليل وأطراف النهار.

ولذا نرىٰ الشهيد الأوّل ينظر إلىٰ السجن وكأنّه مكان للإعتكاف والعبادة، متأسّياً بمن سبقوه من الأنبياء كيوسف (عليه السلام) والأئمة كموسىٰ الكاظم (عليه السلام). فكان منقطعاً الىٰ ربّه يناجيه ويدعوه خوفاً وطمعاً. ولقد بلغ سمو الشهيد وكرامته عند الله أنه كتب ذات ليلة في قصاصة: «ربِّ اني مغلوب فانتصر» ثم وضعها تحت وسادته ونام. فلما استيقظ وجد اسفل القصاصة مكتوباً «ان كنت عبدي فاصبطر». وقد استجاب الشهيد، فكان مثالاً في الصبر والتحمل والمقاومة.

شموليّته

من ابرز خصائص الشهيد الأوّل موسوعيته في الفكر والعلوم. فلم يكن الشهيد مطلعاً علىٰ ثقافة عصره فحسب بل كان متعمّقاً في أغلب جوانبها. فلقد كان علىٰ صلة وثيقة بأغلب علماء عصره، ولم يكن يفرّق في ذلك بين أهل السنة او الشيعة. وكان يسعىٰ جاهداً في التقرب من علماء السنة متوخّياً في ذلك بعض الأهداف:

١ ـ تحطيم الحواجز المصطنعة بين الفقهين السني والشيعي، وإزالة الحدود بينهما، وصهر جماهير الفريقين في بوتقة الوحدة والأخوة والتآلف.

٢ ـ الإطلاع علىٰ الآراء الفقهية لأهل السنة والإستفادة من تجاربهم وابداعاتهم العلمية، وفي مقابل هذا ايقافهم علىٰ تجارب وآراء المذهب الشيعي في هذا المضمار.

ويعدّ الشهيد الأوّل رائد هذه الفكرة المخلصة في اذابة الجليد وردم هوة الإختلاف بين الأخوة. ولقد كان علماء السنة ينظرون اليه بإجلال، وكانت الجماهير تكبر فيه هذه الروح الوثابة للخير، والمحبة للتسامح والإخاء.

٣ ـ صقل الفقه الشيعي، وذلك من خلال الإطلاع علىٰ آراء المذاهب الأخرىٰ فيه. ولقد كان الشهيد أوّل من عقد مقارنة بين مذاهب الفقهاء؛ الأمر الذي وفّر للفقه الإمامي فرصة للتقدم الىٰ الإمام.

ذوقه الأدبي

كان الشهيد محيطاً بثقافة عصره ملمّاً بنواحي فكره، وكان يعبر عن أفكاره باسلوب أخّاذ كاسراً جمود سابقيه ومعاصريه في التعبير عن آرائهم في شتىٰ مناحي العلوم.

وإلىٰ جانب أدبه الرفيع ويراعه السيّال تبدو شاعريته، فلقد كان الشهيد شاعراً رقيقاً يمتاز شعره بدقّة صوره وجودة أدائه وجزالة

لفظه. ومن هذه الناحية، فانّ الشهيديقف إلىٰ جانب العلماء الشعراء من امثال الشريفين الرضي والمرتضى والشهيد الثاني والعلامة بحر العلوم والميرزا محمد تقي الشيرازي وغيرهم.

ولقد وظف الشهيد أدبه وشعره في خدمة الديـن والدفـاع عـن الاسلام.

فمن أشعاره قوله:

غـنينا بـنا عـن كـل مـن لا يـريدنا

وان كــــثرت أوصــافه ونــعوته

ومن صدّ عنا حسـبه الصـد والقـلا

ومــن فـاتنا يكـفيه أنـا نـفوته

وفي مسايرة ابن الجوزي في قوله:

اقســـمت بـــالله وآلائــه

اليــه القــى بــها ربــي

ان عـــلى بـــن ابـي طـالب

امــام اهـل الشـرق والغـرب

يقول الشهيد:

لأنــه صـــنو نــبي الهـدى

و ســيفه القــاطع فــي الحــرب

وفي مسايرة ابن الجوزي في قوله:

اقســـــمت بـــالله وآلائــــه
اليـــه القـــى بـــها ربـــي
ان عـــلى بـــن ابـــي طـــالب
امـــام اهـــل الشـــرق والغـــرب

يقول الشهيد:

لأنـــه صـــنو نـــبي الهـــدى
و ســـيفه القـــاطع فـــي الحـــرب
وقـــد وقـــاه مـــن جـــميع الردى
بـــنفسه فـــي الخـــصب والجـدب
والنـــص فـــي الذكـــر وفـــي «إنـــما
وليكــــــم» كـــاف لذي لبّ

ومنه قوله:

بالشوق والذوق نالوا عـزة الشـرف
لا بـالدلوف ولا بـالعجب والصـلف

يا شقوتي قد تولت أمة سلفت
حتى تخلفت في خلف من الخلف

* * *

وقف على عرفات الذل منكسراً
وحول كعبة عرفان الصفا فطف
وادخل إلى حلوة الأفكار مبتكراً
وعد إلى حانة الأذكار بالصحف
وإن سقاك مدير الراح من يده
كأس التجلي فخذ بالكأس واغترف

في رعاية الله

نذر الشهيد حياته لله وأوقف عمره في خدمة دينه سبحانه، فلا غرو أن نرى بوضوح رعاية الله له في مواقف عديدة خاصة اذا اخذنا بنظر الإعتبار ان مجرد اعلان المرء في ذلك الوقت تشيعه كان يعد بحد ذاته جرماً يعاقب عليه. ومن هنا ندرك مدىٰ معاناة الشهيد وعمق محنته في تلك الحقبة من الزمن.

ولعل تأليف اللمعة في تلك الظروف الخانقة يعد لطفاً من ألطاف الله، فلقد كان الشهيد مراقباً في بيته مراقبة شديدة ، وكان مجلسه

يغصّ بعلماء العامّة ورجال السياسة ممن تُخشىٰ تقاريرهم، بيد انه ـ ولدىٰ شروعه بتأليف اللعمة ـ لم يمرّ به أحد، وذلك طيلة سبعة أيّام كاملة وهي كل المدّة التي استغرقها إنجاز الكتاب.

دعوته الىٰ الوحدة

يقف العلماء الكبار علىٰ مرّ التاريخ في الصفوف الأولىٰ من دعاة الوحدة... وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها في جبهة واحدة ضد قوىٰ الكفر والشر.

ولا تعني الوحدة هنا إلغاء المذاهب وإذابة المدارس الفكرية في مذهب واحد أو فكر محدد، فمن هنا تنطلق روح التعصب الاعمىٰ التي تجنح دائماً نحو إلغاء الآخر وإزالته.

إن الوحدة الإسلامية بمعناها الحقيقي تكمن في التضامن والإلتفاف حول النقاط المشتركة والتي تشكّل ـ والحمد لله ـ كل البنية التحتية للصرح الإسلامي، فالجميع يتلون كتاباً واحدا ويؤمنون بنبيّ واحد ويتجهون في صلاتهم ذات الجهة، أما منطقة الخلاف فتوجد في المسائل الثانوية التي لا تؤثر علىٰ جوهر القضية في الأساس.

وهذا كتاب الله يدعو المسلمين قائلاً: «يا ايها الذين آمنوا

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه الىٰ الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا».

ولقد ظل الشهيد رمزاً للمسلم المؤمن وبالرغم من تشيعه بل وتزعمه للفكر الإمامي، فلم يكن ليستفز أياً من الأطراف الأخرىٰ المناهضة، وكان يلتزم التقية وهو يتحدث وهو يكتب، وهو يؤلف، واضعاً نصب عينيه مصلحة الإسلام العليا، فيما كان الطرف الآخر يمارس ضدّه ألوان التعسّف والقمع ومصادرة حرّية الرأي بل تلفيق التهم الباطلة ضده، ومن ثم تصفيته على نحو مأساوي.

آراء الآخرين

لم يبلغ تلميذ منزلة رفيعة في قلوب اساتذته ما بلغ الشهيد الأوّل من الإجلال والإحترام رغم صغر سنّه، فلقد لفت انظار الجميع بذكائه الخارق وأدبه الجم وعمله الدؤوب في نصرة الدين والحق.

وستبقىٰ كلمة أستاذه «فخر المحققين» فيه تثير إعجاب الأجيال، وهو يشيد به قائلا:«الإمام الأعظم، افضل علماء العالم وسيّد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحق والدين محمد بن مكى بن حامد (أدام

الله أيامه)»[١].

وبالطبع فإنّه لم يكن ليخاطب رجلاً بلغ الأربعين أوالخمسين بل تلميذاً ناهز من العمر سبعة عشر عاماً فقط.

ولم يكتفِ «فخر المحققين» بهذه الشهادة بل وضع النقاط علىٰ الحروف وهو يؤكّد علىٰ انه استفاد من تلميذه بأكثر مما أفاده.

ويقول عنه الشيخ محمد بن يوسف الكرماني القرشي الشافعي في اجازته إيّاه: «المولىٰ الأعظم الأعلم، إمام الأئمة صاحب الفضلين، مجمع المناقب والكمالات الفاخرة جامع علوم الدين والآخرة».

وقال فيه الشهيد الثاني: شيخنا وإمامنا المحقق البدل النحرير المدقّق الجامع بين منقبة العلم والسعادة، ومرتبة العمل والشهادة الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد محمد بن مكي أعلىٰ الله درجته كما شرّف خاتمته»[٢].

وقال فيه المحقق الكركي في اجازته للشيخ علي بن عبد العالي: «الإمام شيخ الإسلام، فقيه أهل البيت في زمانه، ملك العلماء، علم الفقهاء، قدوة المحققين والمدققين، أفضل المتقدمين والمتأخرين».

---

١ ـ روضات الجنات ج ٧ ص ٤.

٢ ـ مقدمة الروضة البهية.

وفي «أمل الآمل» أشاد به الشيخ الحر العاملي قائلاً: «كان عالماً ماهراً فقيهاً محدّثاً محققّاً متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقليات والنقليات زاهداً عابداً شاعراً أديباً منشئاً، فريد دهره عديم النظير في زمانه».

وقال فيه العلامة النوري في مستدرك الوسائل: «تاج الشريعة وفخر الشيعة، شمس الملّة والدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكي أفقه الفقهاء جامع فنون الفضائل وحاوي صنوف المعالي وصاحب النفس الزكية القوية».

وهكذا فقد بلغ الشهيد الأول من الشأن والعظمة والسموّ ما جعله يحتل القمة السامقة في عصره. وقد اراد له اعداؤه الموت، فوهبه الله الخلود مدىٰ الأيام.

الفصل الرابع

في دمشق

امضىٰ الشهيد شطراً كبيراً من حياته الحافلة في دمشق، وما يدلّ على ذلك هو ان ولادة اربعة ابنائه كانت في الشام التي ظلت منطلقاً لبعض اسفاره ورحلاته. واذا كانت دمشق هي التي شهدت تألّق هذه الشخصية العملاقة،فانها قد شهدت غروب تلك الشمس الساطعة في حوادث دامية.

لقد كان الشهيد اعظم مفكر شيعي وفقيه امامي في عهده، وبلغت شهرته من الانتشار أن لقّب بشمس الدين.

وكان ارتباطه الوثيق وعلاقاته المتعددة مع الشخصيات الفكرية والسياسية قد وفّر للمذهب الشيعي فرصة التقدم والإنتشار والتجذّر.

مع السلطان علي بن مؤيد

كانت للشهيد الأوّل علاقات حميمة مع (علي بن مؤيد) آخر ملوك سلسلة السربداران التي حكمت خراسان نصف قرن من

الزمن.

وتدلّ الرسائل المتبادلة بينهما علىٰ مدىٰ ما يتمتع به الشهيد من منزلة علىٰ الصعيدين الرسمي والشعبي ومدىٰ ما تكنّه الحكومات الشيعية وعموم الطائفة له من حب وتقدير وإجلال.

ويعدّ السلطان علي بن مؤيد أفضل ملوك سلسلة السربداران، فقد شهدت خراسان في عهده تقدماً واسعاً علىٰ الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي. وبالرغم من اشتداد هجمات المغول علىٰ الشرق الإسلامي، فقد تمكن علي بن مؤيد من حماية خراسان من عاصفة الموت والدمار. وقد اشتهر عنه حبه للفقراء والمساكين وحرصه علىٰ اشاعة العدل في بلاده، وحماسه في نشر المذهب الشيعي وتمجيد آل البيت (عليهم السلام).

ومن هنا يأتي تودّده الدائم للشهيد الأوّل، اذ كان يتحفه بين حين وآخر بهدية تعبيراً عن ولائه وتأييده له، ومن بين هداياه نسخة من القرآن الكريم عُرِفَتْ بعد ذلك بهدية علي بن مؤيد.

وقد بلغ من اعتزاز السلطان بالشهيد الأوّل ان اقترح عليه الوفود إلىٰ خراسان لملء الفراغ الذي نشأ عن استشهاد الشيخ حسن جوري.

وهذا نص رسالة السلطان التي يضمنها اقتراحه لذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

سـلام كـنشر العـنبر المـتضوع
يخلف ريح المسك في كـلّ مـوضع
سلام يباهي البـدر فـي كـل مـنزل
سلام يضاهي الشمس في كل مـطلع
عـلى شـمس ديـن الحـق دام ظـله
بـجد سـعيد فـي نـعيم مـمتع

أدام الله تعالى مجلس المولى الهـمام العـالم العـامل الفـاضل الكامل السالك الناسك، رضي الأخلاق، وفـيّ الأعـراق، عـلاّمة العالم، مـرشد الأمـم قـدوة العـلماء الراسـخين، أسـوة الفـضلاء والمحققين، مفتي الفرق، الفارق بالحق، حاوي الفضائل والمعالي، حائز قصب السبق في حلبة الأعاظم والأعالي، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، محيي مراسم الأئمة الطاهرين، سر الله في الأرضـين، مولانا شمس الملة والدين، مدّ الله أطناب ظلاله بمحمد وآله مـن دولة راسية الأوتاد ونعمة متصلة الأمداد إلىٰ يوم التناد.

وبعد: فالمحب المشتاق، مشتاق إلى كريم لقائه غاية الاشتياق وأن يمن بعد البُعد بقرب التلاق:

حــرم الطــرف مــن مـحياك لكـن

حــظي القــلب مـــن مـحياك ريّــا

ينهي إلى ذلك الجناب ـ لازال مرجعاً لأولي الألباب ـ إن (شيعة خراسان) صانها الله عـن الحـدثان مـتعطشون إلىٰ زلال وصـاله، والاغتراف من بحر فضائله وأفضاله، وأفاضل هذه الديار قد مزقت شملهم أيدي الأدوار، وفرّقت جلهم أو كلهم صنوف صروف الليل والنهار. قال امير المؤمنين عليه سلام رب العالمين:«ثلمة الديـن موت العلماء» وإنّا لا نجد فينا من يوثق بعلمه في فتياه، ويـهتدي الناس برشده وهـداه، فـهم يسـألون الله تـعالى شـرف حـضوره، والاستضاءة بأشعة نوره، والاقتداء بـعلومه الشـريفة، والاهـتداء برسومه المنيفة، واليقين بكرمه العميم وفضله الجسيم أن لا يخيب رجاءهم، ولا يرد دعاءهم، بل يسعف مسؤولهم، وينجح مـأمولهم، قال الله تعالى: «والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل».

ولا شك أن أولي الارحــام أولى بــصلة الرحــم الإسـلامية الروحانية، وأحرى القرابات بالرعاية القرابة الإيمانية ثم الجسمانية، فهما عُقدتان لا تحلهما الأدوار والأطوار، بل شعبتان لا يـهدمهما إعصار الأعصار.

ونحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفـقدان الرشـد وعـدم

الإرشاد والمأمول من إنعامه العام وإكرامه التام أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا متوكلاً على الله القدير، غير متعلل بنوع من المعاذير إن شاء الله تعالى.

والمتوقع من مكارم صفاته ومحاسن ذاته إسبال ذيل العفو على هذا الهفو، والسلام على أهل الإسلام.

المحب المشتاق[١] علي بن مؤيّد.

ولقد حمل هذه الرسالة مبعوث خاص هو الشيخ شمس الدين محمد الآوي، ويعدّ من علماء الشيعة ومن المقرّبين من علي بن مؤيد. ومجمل هذه الوثيقة لها دلالات عديدة تكشف عن عظمة الشهيد ومنزلته ومدىٰ شهرته، اضافة إلىٰ مايكنّه السلطان علي بن مؤيد من احترام للعلم والعلماء ومدىٰ احترامه للشهيد الأوّل.

فالرسالة في حقيقتها دعوة للشهيد لأن يتصدىٰ الىٰ الزعامة الدينية، فاذا عرفنا دور الدين في تلك الفترة وما له من تأثيرات واسعة في الحياة، ادركنا مدىٰ حساسية الوضع ودقّته.

ولا يعرف حتى الآن الاسباب التي تكمن وراء عدم استجابة الشهيد للاقتراح ثم عكوفه مدة سبعة أيام كاملة لتأليف دورة فقهية

---

١ ـ روضات الجنات ـ حياة الإمام الشهيد.

متكاملة تعدّ من أروع ماكتب في الفقه في تلك الحقبة علىٰ الإطلاق.

وللأسف، ضاعت الرسالة الجوابية مع النسخة الأصلية للّمعة الدمشقية مع ماضاع من نفائس الكتب اثر سقوط سلسلة السربداران ونهاية حكم علي بن مؤيد.

السربداران

حكومات شيعية استولت علىٰ الحكم في خراسان بعد معارك دامية عام ٧٣٨ هـ. واستمرت حتى عام ٧٨٣ هـ. بعد اجتياح تيمور لنك لخراسان وقضائه علىٰ آخر ملوكهم (علي بن مؤيد).

وجاءت ثورة السربداران كرد فعل عنيف لظلم المغول، وقد قاد الثورة أوّل ملوكهم الأمير عبد الرزاق المؤسس لهذه السلسلة مطلقاً شعاراً حماسياً مفاده «الموت شنقاً أفضل من الحياة ذلاً»[١].

واذا كان لكل ثورة شرارتها فإن نهضة السربداران بدأت لدىٰ هجوم خمسة من جنود المغول في قرية باشتين وهي من قرىٰ مدينة (بيهق)[٢] علىٰ احدىٰ البيوت واستفزازهم أهلها؛ عندها انبرىٰ اهل البيت للدفاع عن أنفسهم وقتلوا الجنود الخمسة، وهو أمر يعني زوال

---

١ ـ نص الشعار بالفارسية: «سر به دار مى‌دهيم اما زير بار ننگ نمى‌رويم».

٢ ـ سبزوار في الوقت الحاضر.

بيهق كلها من علىٰ الخارطة. وينبري عبد الرزاق إلىٰ حماية الثائرين وإعلان دعمه لهم، لتتطور الحادثة وتأخذ شكل الثورة العارمة ضد الوجود المغولي باسره مطلقين صيحتهم المدوّية: «الموت شنقاً أفضل من الحياة ذلاً»[1].

وينتسب حكّام السربداران من جهة الاب الى الإمام الحسين(عليه السلام) أما من جهة الأمّ فيعود نسبهم الى البرامكة.

ويعدّ الشيخ خليفة المازندراني منظّر الثورة ومؤسس قاعدتها الفكرية، وبعد استشهاد الشيخ خليفة، خلفه تلميذه الشيخ حسن جوري في دعوته حيث استشهد ـ هو الآخر ـ في صراعه المرير ضد اعدائه، وقد تركت شهادته أثراً بالغ الخطورة علىٰ الساحة الفكرية، دفعت بآخر ملوك السربداران (علي بن مؤيد) إلىٰ عرض الزعامة الفكرية على الشهيد الأول وملء الفراغ الذي نشأ عن غياب الشيخ حسن جوري.

وتعود اهمية السربداران الىٰ ان نهضتهم قامت علىٰ قاعدة إسلامية هدفها ارساء العدل في البلاد، متّخذة من مذهب اهل البيت (عليهم السلام) طريقاً لتحقيق ذلك.

---

١ ـ يلمس القارئ مدىٰ التشابه الكبير بين شعار السربداران وشعار الحسين (عليه السلام)في كربلاء: هيهات منا الذلة.ـ المترجم.

ولقد شهدت خراسان تقدماً كبيراً علىٰ مختلف الأصعدة خـلال حكم السربداران[1] الذي استمر قرابة النصف قرن من الزمن.

حكومات عصره

لكي نستكشف البعد السياسي في حياة الشهيد الأول، يتعين ان نتعرف علىٰ الظروف السياسية السائدة في عهده. ومن خلال دراسة شكل الحكومات ومناطق نفوذها واتجاهاتها الفكرية، يمكن وضع خارطة سياسية واضحة تساهم في إلقاء الضوء علىٰ البعد السياسي في شخصية الشهيد.

اضمحلال الدولة العباسية

انتهج العباسيون سياسة غاية في القسوة والقمع والتعسف تـجاه العلويين وقواعدهم الشعبية المتمثلة بالتيار الشيعي. ووصلت سياسة البطش ذروتها في عهد المتوكل، اذ تحول العراق بـالخصوص إلىٰ مسرح لعمليات دموية رهيبة.

---

١ ـ ورد في المنجد للأعلام:
سلالة ايرانية كان منها ملوك بسطوا سلطتهم على قسم واسع من بلاد خراسان. سماهم اهل العراق «الشطّار» واهل المغرب «الصقورة» اتخذوا سبزوار قاعدة لهم وكان مسعود أعظم ملوكهم قتل عام ١٣٤٤ م. ـ المترجم

واذا اخذنا بنظر الإعتبار ان العلويين ومسانديهم من الشيعة كانوا العامل الحاسم في نجاح الحركة العباسية ونهاية الحكم الأموي، عرفنا قدر الآلام ومشاعر الندم التي كانت تختلجهم جرّاء تأييدهم المطلق للحركة العباسية.

ومن هنا فقد فكر الشيعة بانشاء كيان سياسي خاص بهم منتهزين الفرص المناسبة لذلك. وعندما بدأت عوامل الإضمحلال والضعف تنخر في الكيان العباسي بدأت حركات الإستقلال في الإنتعاش في مناطق عديدة من الدولة الإسلامية في طليعتها افريقيا وايران والاندلس.[1]

وفى عام ٦٥٦ هـ. بدأ الإجتياح المغولي للشرق الإسلامي وراحت المدن والحواضر الإسلامية تتساقط الواحدة تلو الأخرى، ولاقت بغداد مركز الحكم والحضارة نفس المصير علىٰ أيدى المغول بقيادة هولاكو حفيد جنكيزخان.

وقد اعقب ذلك ظهور كيانات اسلامية عديدة هنا وهناك. فقد ظهرت الدولة الايوبية سنة ٥٦٤ هـ. واتسع نفوذها ايام صلاح الدين الأيوبي لتشمل مساحة شاسعة من العالم الإسلامي تمتد من النيل

---

١ ـ الفاطميون في مصر، والأدارسة في المغرب، والبويهيون في العراق وايران. المترجم

الىٰ دجلة. وفي ايامه اشتعلت الحروب الصليبية المعروفة بين المسلمين والمسيحيين، واشتهرت الدولة الأيوبية بطابعها الطائفي المنحاز للسنة.

وأعقب الدولة الأيوبية ظهور المماليك، وكانوا امتداداً للدولة الأيوبية، وقد تعاقب في الحكم فيها عبيد من جنسيات مختلفة كانوا بشكل عام من سفّاكي الدماء. وقد استغرق حكمهم مايقارب الثلاثة قرون من الزمن.

وينقسم المماليك الىٰ قسمين، الأول: المماليك البحرية وقد سمّوا بذلك نسبة الىٰ نهر النيل إذ كانت مواقعهم العسكرية وثكناتهم الحربية تقوم علىٰ جزيرة صغيرة في النهر، وكانوا في الغالب من الأتراك والمغول. أمّا القسم الثاني فيسمّون بالمماليك البرجية وهم في الغالب من الشراكسة.

الشراكسة

استولىٰ الشراكسة[1] على الحكم بعد انتهاء حكم المماليك البحرية وذلك عام ٧٨٤ هـ. واستمر حكمهم زهاء ١٣٨ عاماً، وقد

---

١ ـ ينحدر الشراكسة في الأصل من مناطق شمال غربي القفقاس والشاطي الشرقي للبحر الأسود. المترجم

اتخذوا من القاهرة عاصمة لهم وأول ملوكهم الظاهر سيف الدين المعروف بـ«برقوق» وكان في اول عهده عبداً خاصًّا للملك الصالح الحاجي بن الأشرف بن شعبان، وهو الرابع عشر من ملوك الأتراك، وقد تولىٰ (الحاجي) الحكم وعمره عشرة أعوام، فانتهز برقوق ضعفه واستولىٰ علىٰ الحكم، ولكن الأمور لم تسر في صالحه اذ سرعان ما انشقّ عليه الأمراء فأعلن كل من «تمريغ الأفضلي» و«بليغ العمري» الثورة عليه وأطيح به وأعيد «الحاجي» مرّة أخرىٰ إلىٰ سدّة الحكم فيما سيق برقوق الىٰ السجن بالكرك.

علىٰ أن برقوق استولىٰ علىٰ السلطة مرّة أخرىٰ فور خروجه من السجن بعد أن جمع قوّات محاربة فقضىٰ علىٰ أعدائه واستمرّ في الحكم حتىٰ وفاته عام ٨٠١ هـ.

موقف برقوق من العباسيين

كان الخليفة العباسي في زمن برقوق هو «المتوكل» محمد بن المعتضد، ويعود له الفضل في تعزيز مركز برقوق في الحكم، غير ان برقوق لم يبق وفياً تجاه المتوكل، فعمل علىٰ عزله عن الخلافة وإلقائه في سجن قلعة الجبل وأسند الخلافة الىٰ محمد بن ابراهيم الذي لقب بـ«الواثق بالله» فيما بعد، وقد استمر في منصبه الىٰ ان

توفّي عام ٧٨٨ هـ.

فاقترح البعض اعادة المتوكل الىٰ الحكم، الاّ ان برقوق رفض الإقتراح جملة وتفصيلاً، وأسند الخلافة إلىٰ أخ الواثق ولقب بـ «المستعصم بالله» حيث استمر في منصبه حتىٰ عام ٧٩١ هـ. وعندها فكّر برقوق بإعادة المتوكل الىٰ الحكم، فأُطلق سراحه من السجن وبويع بالخلافة، وخلع «المستعصم» من منصبه، واستمر الوضع علىٰ هذا النحو الىٰ ان توفّي كلا الخليفتين.

الأوضاع الإجتماعية في عهد برقوق

تردت الأوضاع الإجتماعية في مصر وسوريا بعد تسلّط الشراكسة علىٰ الحكم، وتفشىٰ الفساد في أجهزة الدولة، ثم جاءت الحروب الصليبية لتزيد الطين بلّة، فلم يكد الناس يتنفّسوا الصعداء اثر توقّف الإجتياح المغولي حتّىٰ بدأت هجمات الصليبيين، وتدهورت الأوضاع من سيّئ إلىٰ أسوأ بسبب الحروب والفتن الداخلية. ففي فترة وجيزة استولىٰ برقوق علىٰ الحكم ثم عُزل وأُلقي في السجن، ثم عاد إلىٰ الحكم مرة اخرىٰ، وعزل الملك الأشرف بن شعبان، ثم اعيد الى الحكم، كما عزل المتوكل وخلع من الخلافة ثم اعيد اليها مرة اخرىٰ.

وقد ذاقت الشعوب الإسلامية الامرّين من حكم الشراكسة، فبيناهم عبيد في أيدي النخّاسين بالأمس، اذا هم اليوم ملوك وسلاطين يمسكون بمقدّرات أمّة عظيمة، وقد بلغ الاستهتار ذروته حتى اصبح خيال الحكم يراود كل عبد منذ قدومه الى السوق.

وقد بلغ تململ الشعوب الإسلامية جرّاء تعسّفهم حتىٰ باتت تشعر بالمرارة والالم، وشهدت فترة حكمهم ثورات داخلية هنا وهناك.

ثم تأتي الكوراث الطبيعية التي اجتاحت البلاد لتزيد الأوضاع سوءًا، فقد سادت فترات القحط والمجاعة والزلازل، وتفشّت الاوبئة الخطيرة لتحصد آلاف الأرواح.

وقد انشغل برقوق طيلة فترة حكمه باخماد الفتن والثورات واحباط المؤامرات في الداخل، ومحاولة التصدي للاخطار في الخارج، فقد تلقّىٰ رسالة قاسية اللهجة من تيمور لنك يدعوه فيها الىٰ الإستسلام دون قيد أو شرط. وقد ردّ برقوق برسالة جوابية مشابهة. علىٰ ان الأيام لم تمهل برقوق اذ توفي عام ٨٠١ هـ.

وكانت الحدود مهددة في عهده من قبل الصليبيين ومن غارات المماليك البحرية ايضاً.

وقد ادىٰ كل هذا الى توقف حركة البناء والاعمار والثقافة والىٰ

شلّ التجارة والزراعة.

وفي مقابل هذا الوضع كان على الشعوب ان تتحمل تبعات الانفاق الحربي، فارتفعت الضرائب بشكل خطير، وتفشت ظاهرة الفساد في الإدارة والحكم، وراح بعض أصحاب النفوذ يحتكرون الموادّ والسلع الضرورية والحياتية من قبيل السكر والملح.

وهكذا عم الفساد كل نواحي الحياة، وبرزت ظواهر السقوط والإنحلال الأخلاقي، وعاد تسرّي الغلمان الى اسوأ ماكان عليه ايام العباسيين.

وظهرت الروح الطائفية بين السنة والشيعة، وقد عمل الحكام الفاسدون والصليبيون الحاقدون دوراً قذراً في إلهاب حدّة الصراع وإلهاء الشعوب بذلك لتمرير مخططاتهم في السيطرة والإستبداد.

في ظل هذه الظروف السياسية المشحونة والمتوترة عاش الشهيد الأوّل وقضىٰ ايام حياته وهو يحاول اعادة روح التماسك والتضامن بين شرائح المجتمع الإسلامي متخذاً من دمشق مكاناً لنشاطاته الثقافية والفكرية.

دمشق

لقد قضىٰ الشهيد الشطر الأخير من حياته في مدينة عريقة هي

دمشق وكانت يومها تحت سلطة «بيدمر» الذي يمثل في الظاهر حكومة برقوق. على ان حكومة دمشق لم تكن مرتبطة ـ في الواقع ـ بالسياسة المصرية الا اسميا، وكان بيدمر يمارس صلاحيات مطلقة في الادارة والحكم دون استشارة او حتى اطلاع برقوق.

واستطاع الشهيد الأول، وبالرغم من حساسية الظروف ان يكوّن لنفسه في مجتمع دمشق ـ وسوريا بشكل عام ـ مكانة اجتماعية وفكرية كبيرة، وأن ينفذ الى أجهزة الدولة، ويحاول توجيه السلطات في تحقيق غايات اصلاحية، فقد تمكن الشهيد من إقناع الحكومة ـ مثلاً ـ في توجيه ضربة قاضية لـ «اليالوش» الذي سنتعرض الى ذكره فيمابعد.

وبالرغم من توتر العلاقات بين الشيعة والسنة، فقد كان الشهيد يحتل مكانة مرموقة في الأوساط السنية، وكان مجلسه حافلاً بالكثير من علمائهم الذين يحضرون للمناقشة او لحل بعض مشكلات الفقه والكلام.

ومن هنا فقد كان الشهيد يعمل كل ما بوسعه لردم هوة الاختلاف بين الشيعة والسنة، وكان يتحرك متخذاً كل الإحتياطات اللازمة بعدم اثارة او استفزاز الآخرين. فلقد كان يخفي ما بيده من مؤلفات شيعية كما كان يتجنب الخوض في مسألة من مسائل الخلاف بين

الفريقين. ومن هنا فقد كان الشهيد يمثل في الواقع رائد الوحدة الحقيقي الذي يضع نصب عينيه المصلحة الإسلامية العليا ساعياً باخلاص إلىٰ توحيد كلمة المسلمين.

علاقات الشهيد مع الحكام

لا تتوفّر المعلومات حول علاقات الشهيد بحكومات عصره، فلا نعلم عن علاقاته بالخليفة العباسي او علاقاته مع برقوق، علىٰ أنّ شخصية كبيرة كالشهيد لا يمكن أن تكون في الظلّ خاصّة اذا اطّلعنا علىٰ اسفاره ورحلاته فى أنحاء العالم الإسلامي ولقاءاته المتعددة بشخصيات وزعامات متعددة في هذه الحاضرة الإسلامية أو تلك. وقد بلغت شهرته حدّاً دفعت بحاكم خراسان «علي بن مؤيد» إلىٰ ان يدعوه لتسلّم الزعامة الدينية في خراسان، وكانت بين الطرفين رسائل عديدة، وكان الملك يحرص دائماً علىٰ إتحاف الشهيد بين فترة وأخرىٰ بهدية رمزية تعبيراً عن ولائه له، ومثل هكذا علاقة لا يمكن أن تنشأ من الفراغ بطبيعة الحال. على ان التاريخ ومع شديد الأسف لم يحفظ شيئاً من هذا القبيل الا النزر القليل من رسائل بعض العلماء، وهي كافية للدلالة علىٰ ماكان يتمتع به الشهيد من منزلة رفيعة، وهي تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الشهيد كان يعدّ في

عهده الشخصية الأولىٰ علىٰ صعيد الفقه والثقافة الإسلامية.

حركة اليالوش

عاش الشهيد في عصر مضطرب يتّسم بالقلق السياسي والإجتماعي، وكانت الفتن تعصف به من كل جانب، وفي مثل هكذا أجواء تطفو علىٰ السطح ألوان من الأفكار المغرضة تكمن وراءها ـ في الغالب ـ مصالح شخصية رخيصة.

ولقد ساعد التوتر الطائفي علىٰ ظهور حركات خطيرة تستهوي السذّج والبسطاء من الناس متّخذة من تأزّم العلاقات بين الشيعة والسنّة وسيلة لتحقيق طموحاتها وأهدافها.

ولعلّ اختيار الشهيد الاول دمشق مقرّاً لسكناه جاء من هذه الناحية، فالشهيد حاول أن يكون في الخط الأول من جبهة الصراع الفكري إذا صحّ التعبير، ليراقب ـ عن كثب ـ التيارات الفكرية والسياسية ثم التدخل في الوقت المناسب وإحباط المؤامرات التي تستهدف القضاء علىٰ وحدة الكلمة وتمزيق شمل المسلمين.

وفي هذه الظروف الحساسة ظهرت في جبل عامل حركة خطيرة تدعو إلىٰ مذهب جديد مستغلّة في ذلك هوّة الخلاف بين الشيعة والسنة وإحداث تخلخل في الطائفة الشيعية نفسها.

ولا تتوفر مصادر معتبرة تشير إلىٰ تفاصيل هذه الحركة ولا

قائدها المدعو «محمد اليالوش» الذي يحتمل أن يكون أحد تلامذة الشهيد الأول نفسه.

ويعتقد البعض أن تكون الحركة صوفية المذهب ـ تستند الىٰ قاعدة فكرية هي الإيمان بوحدة الوجود.

ولقد تمكن «محمد اليالوش» ومن خلال قابلياته في الخطابة والشعوذة والسحر أن يستقطب إلىٰ حركته كثيراً من بسطاء الشيعة والسنة، وكان علىٰ الشهيد أن يسارع إلىٰ إحباط مثل هذه التحركات الخطيرة التي تفتك في جسم الأمّة، فأقنع حكومة دمشق بضرورة القضاء علىٰ هذه الفتنة.

وقد استجابت السلطات لاقتراحة وجهزت فرقة عسكرية زحفت باتجاه معسكر اليالوش، وحدثت المعركة الفاصلة علىٰ مقربة من «النبطية» وسرعان ماقُتل «اليالوش» وتمزّقت قوّاته.

ولم تنته حركة اليالوش بمقتله اذ انتقلت الزعامة الىٰ شخص يدعىٰ «تقيّ الدين الجبلي» ثم الى «يوسف بن يحيىٰ» وكان لهذين الرجلين دور في تصفية الشهيد رضوان الله عليه.

الفصل الخامس

التاريخ الدامي

التاريخ الشيعي تاريخ يزخر بصفحات مضمّخة بالدم حافلةٍ بالجراح والآلام، والدموع، تأريخ يحدّثك من خلال فجائعه بمعاناة لا تجد لها نظيراً في مسيرة الإنسان.

لقد حمل الشيعة لواء الثورة ضد كل اشكال الظلم والتعسف والحرمان مندّدين بالإنحراف مهما بلغت قسوة الظروف مستلهمين في كل ذلك ماحدث في كربلاء عندما وقف الحسين (ع) يقاتل لوحده نظاماً مستبدًّا مدجّجاً بالسلاح.

ومنذ تلك اللحظة أي منذ عام ٦١ هـ. بدأ التاريخ الحقيقي للشيعة عندما اشتعلت روح المقاومة والثورة في قلوب الملايين من اتباع أهل البيت عليهم السلام.

ولم يكن الشهيد الأول (رضوان الله عليه) أوّل من يضحّي بنفسه في سبيل الله، ولكن حياته الحافلة بالجهاد ومأساوية النهاية تدعوان الىٰ التأمل والوقوف أمام هذه الصفحة القانية من التاريخ.

لقد حاول مؤرخو الحكومات طمس حياته وتشويه صورته وإلقاء ستار من الغموض على طريقة استشهاده ولكن شمس الحقيقة كما يبدو تجد طريقها دائماً من بين الغيوم.

لنتأمل في هذا النص الذي ينضح حقداً. يقول عبد الحي بن العماد الحنبلي مؤرخاً حوادث سنة ٧٨٦ هـ :

«وفيها قتل محمد بن مكي العراقي الرافضي، كان عارفاً بالأصول والعربية فشهد عليه بدمشق بانحلال العقيدة، واعتقاده مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح، فضربت عنقه بدمشق في جمادى الأولىٰ»[١].

ولسنا بصدد البحث في امثال هذه التفاهات التي تنمّ عن نفوس هابطة، وليس الشهيد أيضاً بأوّل مظلوم يظلمه التاريخ الحكومي، فالتاريخ الحقيقي هو ماتسطّره الشعوب بثوراتها، بجراحها، وآلامها ودموعها.

---

١ ـ شذرات المذهب في اخبار من ذهب ج ٦ ص ٢٩٤.

بواعث الجريمة

لعلّ أبرز الأسباب التي أدّت الىٰ مصرع الشهيد هو شخصيته الفذّة الفريدة، فلقد احتل الشهيد في دمشق مكانة اجتماعية رفيعة علىٰ الصعيدين الرسمي، والشعبي، وتجاوز صداه حدود سوريا والعراق، وأصبح شخصية لها وزنها في العديد من البلدان الإسلامية. وبالطبع فإن هذه الظاهرة لاتروق لبعض اصحاب النفوذ خاصّة في جهاز حكومي ضعيف يشعر بالرعب والحساسية ازاء كل شخصية في مستوىٰ الشهيد.

وبالرغم من حرص الشهيد على تجنّب كل مايثير المشاعر السنّية فإنّه اصبح في نظر الجميع شخصية شيعية يُحسب لها الف حساب.

ومن خلال البحث في الظروف العامّة التي أدّت الىٰ مقتل الشهيد يصطدم المرء بعلامتين، الأولىٰ شخصية «برهان الدين بن جماعة» وهو من علماء البلاط الملكي، والثانية العلاقات الحميمة التي تربط الشهيد بملك خراسان «علي بن مؤيد» غير غافلين عن نتائج اصطدامه بحركة اليالوش الآنفة الذكر.

فمن هو «ابن جماعة» الذي تمكّن من تصفية الشهيد؟

إنه لايعدو كونه أحد فقهاء البلاط، وكان على مايبدو ألعوبة

بايدي الحاكمين، مستغلين انبهاره بمظاهر الحكم والسلطة الزائفة، ولذا لم يكن لينظر بعين الإرتياح الى الشهيد إذ وجد فيه منافساً ينبغي إزاحته عن الطريق. وشخصية «ابن جماعة» شخصية انتهازية تروقها ضخامة العناوين والمناصب حتى ولو علىٰ جثث الآخرين. لقد استيقظ الشيطان الكامن في نفسه وهو يرىٰ مايتمتع به الشهيد من إحترام الجماهير وتقدير العلماء، فراح يخطّط للقضاء عليه من خلال الحطّ من شأنه والإساءة الىٰ منزلته ومكانته؛ فقد اجتمع به ذات يوم، وكان الشهيد مشغولاً بالكتابة فأثار مسألة خلافية تمكّن الشهيد من إشعاره بالعجز عن مقاومة أدلّته فعزّ على ابن جماعة هزيمته أمام الناس، فأراد إهانته، فقال معرِّضاً بنحافة جسم الشهيد: إني أجد حسّاً من وراء الدواة ولا أفهم ما يكون معناه؟

فأجاب الشهيد علىٰ الفور: نعم (ابن الواحد) لا يكون أعظم من هذا. فشعر ابن جماعة بالخزي وكاد أن يتفجّر غيظاً وحقداً، اضف الى ذلك الدسائس التي قام بها اتباع اليالوش ومحاولاتهم للقضاء علىٰ الشهيد الذي يعدّونه السبب في القضاء علىٰ حركتهم وطموحاتهم، فراحوا يحرِّضون الحكومة ضدّه. وقد كانت حكومة بيدمر ضعيفة للغاية تشعر بالهلع من اية حركة، فوُضع الشهيد تحت مراقبة دقيقة تحصي عليه أنفاسه.

ولا شك بأن رسائله إلىٰ ملك خراسان ورسـائل الأخـير اليـه، حملت الحكومة علىٰ تصفيته والتخلّص منه قبل أن يفكّر بقلب نظام الحكم وتشكيل حكومة شيعية عـلىٰ غـرار حكـومة السـربداران، خاصة وإن شخصية الشهيد تتمتع بتأييد مطلق من الجماهير الشيعية وقطاع كبير من أهل السنّة الذين كـانوا يـقصدون مـنزله لدىٰ كـل مشكلة تلمّ بهم.

مصرع الشمس

كانت أولىٰ الخطى في تصفية الشهيد هـي إلقـاؤه فـي السـجن وإقصاؤه عن الحياة العامّة وقطع جميع اتصالاته بالجميع.

وهكذا أُلقي الشهيد في قلعة دمشق سجيناً مدّة عام كامل.

وقد حاول الشهيد تليين موقف الملك وتبديد شكوك حكـومته فكتب إليه أشعاراً رقيقة:

يـا أيـها المـلك المـنصور بـيدمر
بكـم خـوارزم والأقـطار تـفتخر
إنّـي أراعـي لكـم فـي كـل آونـة
ومـا جـنيت لعـمري كـيف أعـتذر
لا تسمعن فـيّ أقـوال الوشـاة فـقد
بـاؤوا بـزور وإفك ليس يـنحصر
والله والله أيـمـاناً مـؤكّدة
إني بريءٌ مـن الإفك الذي ذكـروا
الفـقه والنـحو والتـفسير يـعرفني
ثـم الأصـولان والقـرآن والأثـر

وهذا التظلّم الواضح يكفى في تبديد مخاوف الحكم لو لم تكن لهم تلك النفوس الهابطة التي أعماها حبّ السيطرة والنفوذ وشهوة الحكم. علىٰ أن بيدمر وابن جماعة وأضرابهما كانوا يدركون جيداً أن الشهيد لم يفكر حتىٰ لحظة واحدة بالحكم والسلطة وكل العناوين الزائفة، ومع كل هذا قرّروا تصفيته لاتساع قاعدته الشعبية التي لم تعرف التوقّف أمام الحواجز المصطنعة.

لقد التفّت حوله الجماهير شيعة و سنّة وعبرت شهرته الحدود.

وهكذا اجتمعت هذه العوامل ثمّ أدّت إلىٰ مصرع الشهيد علىٰ

نحو مأساوي، وبدأ مسلسل الحوادث بقيام يوسف بن يحيىٰ بتلفيق محضر يعجّ بأقاويل نسبها إلىٰ الشهيد ووقّعه مع سبعين من أتباعه، ثم جاء دور ابن جماعة ليضيف إليه ألف شهادة من اتباعه، ثم ينفذه الىٰ القاضي المالكي قاضي بيروت مع تهديدات بعزله اذا لم يحكم بإعدام الشهيد.

وتشكلت محكمة صورية تُليت فيها قائمة بالأقاويل والافتراءات ووُجهت إلىٰ الشهيد التهم.

وأنكر الشهيد جميع الاتهامات دون جدوىٰ.

وعلق أحد اعضاء مجلس الحكم: لقد ثبت ذلك عليك شرعاً ولا ينتقض حكم الحاكم.

فردّ الشهيد مفنّداً: الغائب على حجته فإن اتىٰ بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلاّ فلا.

ثم أضاف الشهيد: وها أنا أبطل شهادات من شهد بالجرح. ولي على كل واحد حجة بيّنة.

وبالرغم من منطقية الدفاع إلاّ أنّ المحكمة كانت قد أصدرت حكمها من قبل في مؤامرة حيكت خيوطها في الظلام. وهنا تبادل الاعضاء نظرات ذات مغزىٰ، ونهض القاضي المالكي بحركة تمثيلية إذ قام للوضوء ثم صلّىٰ ركعتين وأصدر حكمه قائلاً: قد حكمت

بإهراق دمه.

وفي تلك اللحظات تجلّت كل صور الفضيلة والتقوىٰ والشجاعة، وواجه الشهيد مصيره بروح ثابتة ونفس مطمئنة.

ولقد حاول اعداؤه دفعه إلىٰ الإستسلام والخضوع، فعرضوا عليه التوبة وقد رفض الشهيد ذلك بشدّة قائلاً: أنا لم أرتكب ذنباً لكي أتوب.

وكان الشهيد يدرك أنّ محاكمته لم تكن محاكمة لشخصه بل لشخصيته التي نهضت علىٰ مبادئ وقيم ومذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وإذن فلا مجال للتراجع والخضوع.

الميلاد الآخر

لقي الشهيد حتفه في الضربة الأولىٰ بسيف أموي حاقد؛ ولكن هل اكتفىٰ أعداؤه بذلك؟ كلاّ لقد تفجّرت في نفوسهم كل الرذائل والدنايا وارتكبوا أعمالاً قذرة تدلّ علىٰ مستواهم الوضيع وأخلاقهم الهابطة.

فقد أمروا بصلب الجثمان الطاهر في مكان عام ووُضعتْ حوله حراسة مشدّدة لئلاّ يحاول مريدوه إنقاذه. ولم يكتفوا بذلك بل امروا جلاوزتهم برجمه، ثم أُنزل الجسد المهشم من الصليب ليحرق.

وهنا يقف الإنسان مشدوها وهو يراقب تلك الوحشية وينظر الى

أي مدىٰ يصل اليه الإنسان عندما يستقيظ الشيطان في أعماقه.

ولكن التاريخ يزخر بهذه الحـوادث الدامـية والمآسـي، وتـلك كربلاء محفورة في ذاكرة الجنس البشري وهي تشـير الىٰ مـصرع الحسين ربيب السماء علىٰ أيدي جلاّدي الشعوب.

وهكذا اختتم الشهيد حياته الحافلة بالمفاخر والأمجاد علىٰ نحو مأساوي فريد، ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

أولاده

خلّف الشهيد ثلاثة أولاد وبنتاً اصبحوا كلهم من العلماء والفقهاء وهم كل من:

الشيخ رضي الدين أبو طالب محمد وهو الأكبر، والشيخ ضياء الدين ابو القاسم علي وهو الأوسط، ثم الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن وهو الأصغر، وقد سبقت الإشارة إليهم في الحديث عن تلامذة الشهيد.

أما ابنته فهي «ست المشايخ» فاطمة وكانت مثالاً للمرأة المؤمنة، وكان ابوها يثني عليها ويحثّ النساء علىٰ الاقتداء بها، وقد بلغ إجلال الناس لها أنّها لمّا توفيت مشىٰ في جنازتها سبعون مجتهداً من جبل عامل.

ولا تتوفّر معلومات حول حياتها سوىٰ وثيقة تلقي بصيصاً من

الضوء علىٰ شخصيتها ومدىٰ احترامها للعلم والعلماء وتتضمّن الوثيقة تنازلاً لأخويها عن تركة أبيها في جزين مقابل بعض الكتب الفقهية.

وهذا نص الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد الله الذي وهب لعباده ماشاء، وأنعم علىٰ أهل العلم والعمل بما شاء، وجعل لهم شرفاً وقدراً وكرامة، وفضّلهم علىٰ الخلق بأعمالهم العالية، وأعلىٰ مراتبهم في دار الدنيا والآخرة وشهد بفضلهم الانس والجان والصلاة والسلام الاتمّان والأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان، المخصوص بجوامع الكلم الحسان، وعلى آله واصحابه أهل اللسن واللسان، والساحبين ذيول الفصاحة على سُحبان، وعلى تابعيهم ومن تابعهم ما اختلف الجديدان، واضاء القمران.

أما بعد: فقد وهبتِ الست فاطمةُ أم الحسن اخويها أبا طالب محمداً وأبا القاسم علياً سلالة السعيد الأكرم، والفقيه الأعظم، عمدة الفخر وفريد عين الزمان ووحيده، محيي مراسم الأئمة الطاهرين، سلام الله عليهم أجمعين، مولانا شمس الملة والدين محمد بن أحمد بن حامد بن مكي قدس سره، المنتسب لسعد بن معاذ سيد الأوس ـ

أُمّا ـ قدس الله أرواحهم جميعاً مايخصها من تركة ابيها في (جزين) وغيرها هبة شرعية ابتغاءً لوجه الله تعالى ورجاءً لثوابه الجزيل.

وقد عوضا عليها كتاب (التهذيب) للشيخ رحمه الله، وكتاب (المصباح) له، وكتاب (الذكرى) لأبيها رحمه الله، و (القرآن) المعروف بهدية علي بن مؤيد.

وقد تصرف كل منهم، والله الشاهد عليهم، وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضان العظيم قدره الذي هو من شهور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، والله على ما نقول وكيل. وشهد بذلك خالهم المقدام علوان بن أحمد بن ياسر، وشهد الشيخ علي بن الحسين بن الصائغ. وشهد بذلك الشيخ فاضل بن مصطفى البعلبكي».

ذريّة بعضها من بعض

أراد الجلاّدون القضاء علىٰ الشهيد فقتلوه وصلبوه ورجموه بالحجارة ثم أحرقوه، وكانوا في الواقع يكرّسون خلوده مدىٰ الأيام. لقد أفنوا جسده النحيل وبقيت روحه الطاهرة تطوف فوق ربىٰ جبل عامل، وبقيت آثاره مدرسة للأجيال وبقيت ذرّيته تحمل قبساً من جذوة روحه المتأججة. ومن ذريّته:

١ ـ الشيخ فخر الدين احمد من أحفاد ضياء الدين علي.

٢ ـ الشيخ ابراهيم بن ضياء الدين من علماء جبل عامل.

٣ ـ الشيخ أحمد بن شرف الدين عالم أديب وشاعر رقيق أقام في الهند مدّة ثم في مكة المكرّمة.

٤ ـ الشيخ جواد بن شرف الدين محمد عالم فاضل وشاعر مجيد.

٥ ـ الشيخ ابو المعالي بهاء الدين محمد. وهو من العلماء الكبار عاصر السيد بحر العلوم.

٦ ـ الشيخ خير الدين بن الشيخ عبد الرزاق العاملي أقام في شيراز وكان معاصراً للشيخ البهائي وقد أهداه الأخير كتابه «الحبل المتين»

٧ ـ الشيخ خير الدين له مؤلفات في الفقه والرياضيات وبعض العلوم الأخرىٰ، واليه تنتسب اسرة «شيخ الإسلامي» في طهران.

٨ ـ الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل شمس الدين العاملي كان يقطن إحدىٰ قرىٰ جنوب لبنان. فقيه جامع وقائد سياسي وزعيم ديني في جبل عامل، وكان ايضاً أديباً وشاعراً.

٩ ـ الشيخ شمس الدين بن الشيخ محمد، كان يقطن «الفوعة» من ضواحي حلب في سوريا، وهو من مشاهير العلماء في عصره. توفي سنة ١٣٣٣ هـ.

١٠ ـ الشيخ حسن بن سليم آل شمس الدين: سكن «الحنوية»

من قرىٰ مدينة صور وأقام في النجف الأشرف مدّة ١٧ عاماً قضاها بالتدريس.

١١ ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلىٰ في لبنان منذ اختطاف الإمام موسىٰ الصدر عام ١٩٧٨ هـ.

١٢ ـ الشيخ محمد رضا شمس الدين، مؤلف الكتاب القيّم «حياة الإمام الشهيد الأوّل».

ومن ذريّته اليوم علماء وادباء وشعراء يسكنون لبنان والعراق وإيران يحملون ألقابا مختلفة كلها تعود الى ذات الشجرة الطيبة.

نعم لقد كان الشهيد بحق:

«كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء»

مصادر الكتاب

١ ـ شهداء الفضيلة، العلامة الأميني، ترجمة جلال الدين الفـارسي، ص ١٥٥ ـ ١٧٦.

٢ ـ روضات الجنّات، الميرزامحمد باقرالخونساري، جزء ٧ ص ٣ ـ ٢١.

٣ ـ ريحانة الأدب، ج ٣، الميرزا محمد على مدرّس، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

٤ ـ قصص العلماء، الميرزا محمد تنكابني، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٢.

٥ ـ مفاخر الإسلام، ج ٤، على دوانى، ص ٣٢٧ ـ ٣٦٦.

٦ ـ رياض العلماء، الميرزا عبد الله الأفندي الإصفهاني، ص ١٨٥ ـ ١٩١.

٧ ـ مقدمة اللمعة ج ١، تحقيق سيد محمد كلانتر، ص ٧٧ ـ ١٤٨.

٨ ـ حياة الإمام الشهيد الأوّل، محمد رضا شمس الدين، ٧٧ صفحة.

٩ ـ امل الآمل، ج ١، الحرّ العاملى، ص ١٨١ ـ ١٨٣.

١٠ ـ لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني، ص ١٤٣ ـ ١٤٨.

١١ ـ مستدرك الوسائل، المحدث النوري، ص ٤٣٧.

١٣ ـ تاريخ العلماء، محمد رضا حكيمي، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٨.

١٤ ـ الكني والألقاب، الشيخ عباس القمى، ص ٣٧٧ ـ ٣٨١.

١٥ ـ تكملة امل الآمل، السيد حسن الصدر، ص ٣٦٥ ـ ٣٧١.

١٦ ـ الفوائد الرضوية، المحدث القمّي، ص ٦٤٥ ـ ٦٥٣.